روايات الهلال

باولو كويلهو

www.liilas.com
MALLOULI

فيرونيكا تقرر أن تموت

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمي

تصدر عن مؤسسة دار الهلال

الإصدار الأول: يناير ١٩٤٩

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

سكرتير التحرير
محمود قاسم

ثمن النسخة

سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٣٠٠٠ ليرة - الأردن ٢ دينار - الكويت ١.٥ دينار - السعودية ١٥ ريالا - البحرين ١.٥ دينار - قطر ١٥ ريالا - دبي/أبو ظبي ١٥ درهما - سلطنة عمان ١.٥ ريال - المغرب ٢٥ درهما.

العدد ٦٢٧

مارس ٢٠٠١ ● ذو الحجة ١٤٢١هـ

No - 627 - MAR - 2001

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي (١٢ عددا) ٦٠ جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - امريكا واوروبا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا - باقي دول العالم ٦٠ دولار

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفي لامر مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد

للاشتراك في الكويت: السيد عبدالعال بسيوني زغلول الصفاة ص ب ٢١٨٣٣ (13079) ت ٤٧٤١١٦٤

الإدارة: القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت: ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات: ص ب ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ - تلغرافيا المصور - القاهرة ج م ع

تلكس: TELEX 92703 hilal u n

فاكس: FAX 3625469

عنوان البريد الإلكتروني:

darhilal@idsc.gov.eg

الرياض 2004/06/29

فيرونيكا تقرر أن تموت

تأليف

باولو كويلهو

ترجمة

ظبية خميس

●

دار الهلال

www.liilas.com
MALLOULI

ولدهشتها ، وبالرغم من أن السطر الأول من القص صدمها خارج سياق استسلامها الطبيعي (لم يكن المنوم قد تحلل تماماً في معدتها ، لكن فيرونيكا كانت مستسلمة بطبيعتها)، ولأول مرة في حياتها جعلها تتأمل حقيقة مثل شائع بين أصدقائها:

(لا شيء يحدث في هذا العالم بالصدفة).

لماذا السطر الأول ، وفي تلك اللحظة بالتحديد عندما شرعت في الموت؟ وما هي الرسالة الخفية التي وجدتها أمامها ، على افتراض أن هناك شيئاً ما مثل الرسالة الخفية بدلاً عن الصدف المحضة. تحت الرسم التوضيحي لعبة الكمبيوتر ، بدأ الصحفي مقالته متسائلاً : «أين سلوفينيا؟».

«حقيقة» ، فكرت ، «لا أحد يعرف أين سلوفينيا». ولكن سلوفينيا موجودة بالفعل ، وكانت في الخارج، داخل الجبال المحيطة بها وفي الميدان الذي تنظر إليه: سلوفينيا كانت موطنها.

وضعت المجلة على جنب ، لم تعد هناك أهمية الآن للجدل مع عالم لايعرف شيئاً مطلقاً عن السلوفينيين، شرف أمتها لم يعد يعنيها . كان هذا هو الوقت لتشعر بالفخر بنفسها ، ولتتذكر أنها كانت قادرة على فعل هذا ، وأنها أخيراً صاحبتها الشجاعة لتغادر هذا العالم: أية متعة ! وكذلك أن تفعله كما حلمت - بأخذ الحبوب المنومة ، والتي لاتترك أثراً.

حاولت فيرونيكا الحصول على هذه الحبوب لمدة ستة أشهر تقريباً، وقد ظنت أنها لن تستطيع تدبير ذلك، ورجحت حتى أن تقطع شرايين يديها بدلاً من ذلك . لم يكن مهماً أن تغتسل الغرفة بالدماء ، وأن تترك الراهبات مع الشعور بالحيرة والتشوش والحزن، لأن الانتحار يتطلب أن يفكر الناس في ذواتهم أولاً وفي الآخرين أخيراً . كانت على استعداد أن [illegible] كي لايسبب انتحارها سوى أقل قدر من الإزعاج، لكن [illegible] الطريقة

الوحيدة ، لكانت بلا خيارات - والراهبات يستطعن تنظيف الغرفة ونسيان القصة برمتها، وإلا فإنهن سيجدن صعوبة في تأجير الغرفة من جديد . قد تعيش في نهاية القرن العشرين، إلا أن الناس مازالوا يؤمنون بالأشباح .

واضح أن بإمكانها أن تقذف بنفسها من فوق إحدى البنايات الشاهقة القليلة في لجوبلجانا، لكن ماذا عن عواقب العذاب الذي ستسببه لوالديها بالسقوط من ارتفاع كهذا ؟ فبالإضافة إلى الصدمة التي سيتلقانها عند معرفة أن ابنتهما ماتت ، فإن عليهما أيضاً التعرف على جثة مشوهة ، لا ، سيكون بديلا أسوأ من النزيف حتى الموت لأنه سيترك علامات لا يمكن إنكارها على شخصين لم يريدا لها إلا الأفضل.

سوف يعتادان على موت ابنتهما مع الوقت، لكنه سيكون من المستحيل نسيان جمجمة مهشمة).

طلقات الرصاص ، القفز من بناية عالية، الشنق، لم تناسب أي من هذه الخيارات طبيعتها الأنثوية . فالنساء ، عندما ينتحرن، يخترن طرقاً أكثر رومانسية مثل قطع شرايين المعصمين أو تناول عدد أكبر من الحبوب المنومة، الأميرات المهجورات ونجمات هوليوود قدمن أمثلة متعددة على ذلك.

تعلم فيرونيكا أن الحياة هي مسألة انتظار اللحظة المواتية للفعل . وهكذا قد ثبت . وكرد فعل على شكواها المتكررة أنها لاتستطيع النوم ليلاً ، استطاع إثنان من أصدقائها الحصول على علبتين نفاثتين من المخدر ، يستخدمه الموسيقيون في النوادي الليلية المحلية . تركت فيرونيكا العبوات الأربع قرب سريرها لمدة أسبوع، لتغازل التقرب من الموت وتقول وداعاً - بغير عاطفية على الإطلاق - لما يدعوه الناس بالحياة.

الآن هي هناك ، سعيدة أنها قطعت كل الطريق ، وضجرة لأنها لم تعرف ماذا [illegible] الوقت القليل المتبقي لها.

فكرت مرة أخرى في السؤال الغريب الذى قرأته التو . كيف يمكن لمقال حول الكمبيوتر أن يبدأ بافتتاحية حمقاء :

«أين تقع سلوفينيا؟».

ولأنه لم يكن لديها ماتفعله ، فقد قررت أن تقرأ المقال كاملاً وعلمت أن لعبة الكمبيوتر إياها صنعت فى سلوفينيا –البلد الغريب الذى لايبدو أن أحداً يستطيع تحديد موقعه ، سوى الذين يعيشون فيه – لأنه كان مكانا رخيصاً للعمالة . منذ شهور قليلة مضت ، عندما أشهرت البضاعة ، قام المصنع الفرنسى بعمل حفل للصحفيين من مختلف أرجاء المعمورة فى قصر فى فليد.

تذكرت فيرونيكا أنها قرأت شيئاً عن الحفل الذى كان حدثاً فى المدينة ، ليس فقط لأن القصر كان قد أعيد ديكوره ليتماشى بقدر الإمكان مع طقس القرون الوسطى للسى . دى روم ولكن بسبب المجادلات فى الصحافة المحلية : صحفيون من ألمانيا، فرنسا ، بريطانيا ، إيطاليا وإسبانيا كانوا مدعوين، لكن لم يكن هناك صحفى واحد من السلوفينيين.

مراسل مجلة الرجل الفرنسية – والذى كان يزور سلوفينيا للمرة الأولى ، مع تكاليف مدفوعة سلفاً بلاشك، ومصمماً على أن يقضى زيارته مثرثراً مع صحفيين آخرين، ومفترضاً أنه يصنع تعليقات شيقة ومستمتعاً بالأكل والشرب المجانى فى القصر – قرر أن يبدأ مقاله بدعابة لابد أنها متوافقة مع مثقفى بلده. ولعله أخبر زملاءه الصحفيين فى المجلة بنوادر وقصص عديدة غير حقيقية عن العادات المحلية أيضاً، وقال إن النساء السلوفينيات رثات الذوق فى الملابس.

كانت هذه مشكلته هو . كانت فيرونيكا تحتضر ، ولديها هموم أخرى ، مثل التساؤل عن وجود حياة بعد الموت ، أو متى سيعثرون على جثتها . وبالرغم من ذلك – أو ربما بسبب قرارها المحتوم والذى اتخذته – فقد أزعجها المقال.

نظرت خارج نافذة الدير والمطلة على ميدان صغير فى لجوبلجانا . «إذا كانوا لايعرفون أين سلوفينيا ، إذن فإن لجوبلجانا . هى أسطورة»، فكرت ، مثل الأطلنطس أو ليموريا ، أو أى من القارات الضائعة الأخرى والتى تملأ خيالات الرجال . لا أحد ، فى أى مكانٍ من العالم، سيبدأ مقاله بالتساؤل عن مكان جبل إيفريست، حتى لو لم يذهبوا أبداً إلى هناك . ومع ذلك ، وفى وسط أوروبا ، لم يشعر صحفى يعمل فى مجلة مرموقة بالخجل من طرح ذلك السؤال ، لأنه يعلم أن معظم القراء لايعرفون أين سلوفينيا ، ويجهلون أكثر عاصمتها، لجوبلجانا .

إنها اللحظة التى عثرت فيها فيرونيكا على طريقة لقضاء الوقت ، الآن بعد أن مرت عشر دقائق ومازالت لم تلحظ أية طوارىء جسدية . سيكون المشهد الأخير من حياتها أن تكتب رسالة إلى المجلة ، تشرح فيها أن سلوفينيا هى إحدى خمس جمهوريات كانت تكون يوغسلافيا المقسمة.

ستكون الرسالة ورقة انتحارها . لن تعطى أى تبريرات خلف السبب الحقيقى لموتها .

عندما يعثرون على جثتها ، سيستنتجون أنها قتلت نفسها لأن مجلة لم تعرف موقع وطنها . قهقهت وهى تفكر فى الجدل الذى ستثيره الصحف ، والانقسامات بين وجهات النظر المؤيدة والمعارضة لانتحارها المرتكب نخباً لشرف وطنى . وقد صدمت فى مدى سرعة تغييرها لرأيها ، وخاصة أنها فكرت العكس منذ قليل، أن العالم والمشاكل الجغرافية الأخرى لم تعد تثير اهتمامها .

كتبت الرسالة . كانت هذه اللحظة من المرح الطيب تجعلها تعيد التفكير حول حاجتها لأن تموت ، لكنها ابتلعت الحبوب بالفعل ، وكان الوقت قد تأخر للعودة إلى الخلف .

وعلى كل حال، كنت قد [illegible] الكثير من قبل. إلى جانب أنها لم [illegible]

[illegible]

السبب الأول [illegible]

السبب الثاني [illegible]

[illegible]

إلى جانب، أنه لم يكن [illegible]

ثم [illegible]

[illegible]

في الرابعة والعشرين [illegible]

وبالرغم من ذلك [illegible]

إذا كان الله موجوداً [illegible]

إن [illegible]

www.liilas.com Mallouli

عندما فتحت فيرونيكا عينيها لم تفكر أن «هذه هى الجنة» . الجنة ليس بها ضوء نيون لإضاءة الغرفة، والألم - الذي بدأ بعد ثانية - كان مألوفاً فى الأرض . آه، الألم الأرضي - خاص، ومحدد.

حاولت أن تتحرك ، ازداد الألم . بدت سلسلة من النقط الضوئية ، ورغم ذلك فان فيرونيكا أدركت أن هذه النقط ليست نجوم الجنة ، لكنها توابع الألم المركز الذى تحس به .

«بدأت في التنبه»، سمعت امرأة تقول . «لقد سقطت على وجهك فى الجحيم، وعليك أن تصنعى أفضل مافى ذلك».

كلا ، لا يمكن أن يكون حقيقياً ، هذا الصوت يخدعها . لم يكن الجحيم ، شعرت ببرد قارص واعية للأنابيب البلاستيكية الخارجة من أنفها وإحدى تلك الانابيب - فى حنجرتها - جعلتها تشعر بالاختناق.

حاولت أن تحركها ، لكن معصميها كانا موثقين .

«إننى أمزح، ليس هو الجحيم بالفعل»، واصل الصوت قوله . «إنه أشد سوءاً من الجحيم ، مع أننى لم أذهب إلى هناك . أنت فى فيليت».

بالرغم من الألم والشعور بالاختناق ، لاحظت فيرونيكا ما حدث . حاولت أن تقتل نفسها وانقذها شخص ما . من الممكن أن تكون إحدى الراهبات، أو صديق قرر فجأة أن يزورها دون سابق علم ، أو شخص يوصل طلبية نسيت أنها طلبتها . الحقيقة أنها قد أنقذت ، وأنها فى فيليت.

فيليت ، المصحة العقلية المشهورة والمخيفة ، والتى وجدت منذ عام ١٩٩١، عام الاستقلال الوطنى لبلدها . فى ذلك الوقت ، متصورين أن تقسيم يوغسلافيا السابقة سيتم بطرق سلمية (بعد كل شيء عاشت سلوفينيا أحد عشر يوماً من الحرب فقط)، وحصلت مجموعة من رجال الأعمال الأوروبيين على تصريح لإنشاء

مستشفى المرضى العقليين في أرض مهجورة [illegible] بسبب [illegible]
[illegible] المشروع

ولكن بعد مدة قصيرة انتقلت الحرب : أولاً إلى فرنسا ، ثم [illegible] ، وفي [illegible] رجال الأعمال [illegible] الأموال [illegible] المستشفى من [illegible] في أرجاء العالم ، من أشخاص لم يعرفوا حتى أسماءهم [illegible] لم تكن هناك [illegible] أمامهم [illegible] [illegible] [illegible] أكثر [illegible] [illegible] في المستقبل [illegible]

لم يكن هناك نقص في المال ، والذين [illegible] إلى [illegible] من بعض [illegible] حول [illegible] كانوا [illegible] المسؤول عن [illegible] من [illegible] بعض [illegible] في [illegible] ثم [illegible]

[illegible] كان ممكناً [illegible] أحد [illegible] إلى [illegible] من [illegible] الأخرى – [illegible]

[illegible] عن [illegible] الاستعمار [illegible] في [illegible]

[illegible] [illegible] ، [illegible] من [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] أن [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible] من [illegible] في [illegible] [illegible] من [illegible]

لم [illegible] رسالة [illegible] إلى الرسالة [illegible] لم [illegible]

أحست فيرونيكا بالتعاطف مع المرأة التى تروى القصة، لأنها بدت وكأنها تفعل ذلك كمحاولة لفهم موت خالتها . وفى عالم يكافح فيه الجميع من أجل البقاء أياً كان ثمن ذلك، كيف يستطيع المرء أن يحكم على الأشخاص الذين قرروا الموت؟

لا أحد يستطيع أن يحاكم . كل إنسان يعرف مدى عذاباته ومعاناته ، أو الغياب الكامل لمعنى حياته. فيرونيكا أرادت أن تشرح ذلك ، وبدلاً من ذلك اختنقت بالأنبوب فى فمها وعاجلت المرأة بمساعدتها .

رأت المرأة تنحنى على جسدها الموثق ، والمملوء بالأنابيب ضد إرادتها، حركت رأسها من جانب إلى جانب ، تتوسل بعينيها لهم ان يزيلوا الأنابيب ويدعوها تموت بسلام.

قالت المرأة : «أنت غاضبة ، لا أعرف إن كنت آسفة لما ارتكبته أو مازلت تودين أن تموتي ، هذا لا يهمنى ، مايهمني أن أقوم بعملى . عندما يثور المريض، فإن التعليمات تقضي أن أعطيه مخدرا».

توقفت فيرونيكا عن المقاومة ، لكن الممرضة كانت تحقنها بالفعل بشيء تحت إبطها . بعد ذلك بقليل ، كانت عادت إلى عالم غريب بلا أحلام ، حيث الشيء الوحيد الذى تتذكره هو وجه المرأة التى رأتها، العيون الخضراء ، الشعر البنى ، والمسافة البعيدة، مسافة شخص يمارس الأشياء لأن عليه أن يفعل ذلك دون أن يستفسر عن هذا أو ذاك من الأحكام.

باولو كويلهو سمع عن قصة فيرونيكا بعد ثلاثة أشهر، عندما كان يتناول العشاء في مطعم جزائري في باريس مع صديقة سلوفينية ، تدعى أيضا فيرونيكا ، والتي حدث أن تكون إبنة الطبيب المسئول في فيليت .

فيما بعد ، حين قرر أن يكتب كتاباً حول الموضوع، فكر فى أن يغير اسم صديقته حتى لايربك القاريء. فكر في أن يسميها بلازكا أو إدوينا أو ماريتزشا، أو أى اسم سلوفينى آخر ، إلا أنه انتهى إلى الاحتفاظ بالأسماء الحقيقية. عندما كان يذكر صديقته فيرونيكا، سيدعوها صديقتى فيرونيكا. وحين يذكر فيرونيكا الأخرى ، لن تكون هناك حاجة تقتضى أن يصفها على الإطلاق، لأنها ستكون الشخصية المحورية للكتاب ، والناس سينزعجون من تكرار قراءة ، فيرونيكا المرأة المجنونة، أو (فيرونيكا التى حاولت الانتحار). بالإضافة إلى أن ، هو وصديقته فيرونيكا سيأخذان جزاء يسيراً من هذا الكتاب، هذا الجزء.

ارتعبت صديقته فيرونيكا مما فعله أبوها، خصوصاً مع الأخذ فى الاعتبار أنه مدير المصحة كما أنه شخص يبحث عن الاحترام والمصداقية وهو نفسه كان يعمل على أطروحة ستجاز عبر مجتمع اكاديمى تقليدى.

«هل تعرف مصدر كلمة «مصحة»؟ «كانت تقول . «إن ذلك يعود إلى العصور الوسطى ، من حق الشخص فى البحث عن ملجأ فى الكنائس والأماكن المقدسة الأخرى، إن حق المصحة هو شيء يتفهمه أى شخص متحضر . لذلك كيف يستطيع أبى ، مدير المصحة ، أن يعامل شخصاً كهذا؟!».

أراد باولو كويلهو أن يعرف كل التفاصيل لما قد حدث، لأن لديه سببا أصيلاً لمعرفة قصة فيرونيكا.

كان السبب هو التالي : أنه نفسه كان نزيل مصحة، مستشفى عقلي بالتحديد كما كان الناس تعرف، فيما قبل . لم يحدث هذا مرة واحدة، لكن ثلاث مرات ، فى أعوام

١٩٦٥ ، ١٩٦٦و١٩٦٧. المكان الذي دخله كان مستشفى در. إيراس في ريو دي جانيرو

السبب المحدد لدخوله في المستشفى يبدو غريباً حتى اليوم ، ربما حار أهله بسلوكه غير المعتاد ، نصف خجول ، نصف استعراضي، ورغبته في أن يكون «فناناً»، شيء اعتبره كل فرد في عائلته وصفة تامة للانتهاء إلى منبوذ اجتماعي أو الموت بؤساً.

عندما فكر به ويجب أن يقال ، إنه نادراً مايفعل - اعتبر أن المجنون الحقيقي هو الطبيب الذي قبل أن يحجره لأسباب واهية

قهقه باولو حينما علم عن الرسالة التي بعثت بها فيرونيكا إلى المجلة تاركة إياها خلفها ، متذمرة من أن مجلة فرنسية مهمة لاتعرف حتى أين تقع سلوفينيا.

«لا أحد يقتل نفسه لسبب مثل هذا»

«لهذا لم تكن الرسالة مؤثرة»، قالت صديقته فيرونيكا، محرجة. «بالأمس ، عندما وصلت إلى الفندق ، ظن مسئول الاستقبال أن سلوفينيا مدينة ألمانية

كان يعرف الشعور ، لأن أجانب كثيرين يعتقدون أن مدينة بوينس آيريس الأرجنتينية هي عاصمة البرازيل.

ولكن خلاف أن أجانب كثيرين يعبرون عن إعجابهم بجمال بلدة وعاصمتها (التي توجد في الدولة المجاورة الأرجنتين) كان باولو كويلهو يشارك فيرونيكا الحقيقة التي ذكرتها للتو ، ولكن ومما يستحق الذكر أنه هو أيضاً تم حجره في مستشفى عقلي ، وكما قد علقت زوجته الأولى ذات مرة « (كان يجب ألا يطلق سراحه أبداً).

لكنه سُرّح بالفعل وعندما ترك المستشفى للمرة الأخيرة ، مقرراً عدم العودة من جديد ، عاهد نفسه على وعدين

(أ) أنه في يوم ما سوف يكتب في الموضوع .

(ب) أنه سينتظر حتى يموت والداه حتى لا يجرح مشاعرهما ، وخصوصاً أن الإثنين قضيا سنوات طويلة يلومان نفسيهما لما حدث بالفعل.

ماتت أمه عام ١٩٩٣ ، لكن أباه ، الذي بلغ الرابعة والثمانين في ١٩٩٧، مايزال حياً ويكامل قواه العقلية وصحته ، بالرغم من متاعب لرئة (علماً بأنه لم يكن يوماً من المدخنين) وبالرغم من عيشه كاملاً على الطعام المجمد لأنه لايستطيع العثور على خادمة تستطيع احتمال مزاجيته

وهكذا ، حين سمع باولو كويلهو عن قصة فيرونيكا، اكتشف الطريق للحديث عن الموضوع دون أن يخل بوعوده لنفسه ، وبالرغم من أنه لم يفكر يوماً في الانتحار ، كانت لديه معرفة حميمة بعالم المستشفى العقلي المعالجات ، العلاقة بين الأطباء والمرضى، الراحة والقلق من الحياة في مكان كهذا

لذا دعونا نسمح لباولو كويلهو وصديقته فيرونيكا، أن يتركا هذا الكتاب للأبد ودعونا نذهب إلى القصة نفسها.

كورونا لم تعرف كم كان يومي ... فكرت التي سلبتكم منذ اللحظة معينة ... وما زالت تلك الصيغة لتعيد للحياة في غيبة رائعة ... وتصنع مسارا بكل

هل ترغبين في مستقبله

ولكن الآن ... ولأني أحاول بجهد ... في [illegible] اليوم ... أو كل ذلك [illegible] من [illegible] باستثناء تلك التي [illegible] لم تستطع تذكر حتى ... على حد الإطلاق

[illegible] ... الآن [illegible] على كل جسدها [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ... كانت [illegible] [illegible] [illegible] لكنها كانت [illegible] في [illegible] التفكير [illegible] [illegible] [illegible] السرير الذي كانت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كل

هذه التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] لم تكن [illegible] إذ كانت [illegible] التي [illegible] [illegible] أن [illegible] [illegible]

هل تستطيعين [illegible] [illegible]

نظرت [illegible] [illegible] [illegible] إلى [illegible]

أنا [illegible] [illegible] كل شيء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الناس [illegible] [illegible] في [illegible]

وبما أن الناس يميلون إلى مساعدة الآخرين - حتى يشعروا بأنهم أفضل مما هم عليه في الحقيقة سيمنحوني عملي من جديد ، وسأبدأ في التردد على نفس البارات والنوادي الليلية ، وسأتحدث مع أصدقائي عن مظالم ومشاكل العالم ، سوف أذهب إلى السينما ، وأتنزه حول البحيرة

وبما أنني تناولت حبوبا منومة ، فإنني لن أكون مشوهة بأي شكل مازلت شابة ، جميلة ، ذكية ، ولن أجد صعوبة في العثور على عشاق ، لم أعان من هذه المشكلة مطلقاً . سأمارس الحب معهم في بيوتهم ، أو في الغابات ، وسأشعر بمتعة ما ، لكن عند وصولي للذروة ، سيعاودني الشعور بالخواء لن يكون لدينا الكثير لنتحدث حوله ، ومعاً أنا وهو سنعرف ذلك

سيأتي الوقت لتصنع الأعذار - « لوقت متأخر » ، أو «علي أن أستيقظ مبكراً في الغد» وسنفترق بأسرع وقت ممكن ، متجنبين النظر في عيون بعضنا البعض

سأعود إلى غرفتي في الدير وأحاول أن أقرأ كتاباً ، وأن أفتح التليفزيون لأرى نفس البرامج القديمة ، وأجهز ساعة المنبه لأستيقظ تماماً في الوقت نفسه الذي استيقظت فيه في اليوم السابق وأنفذ عملي ومهامي في المكتبة بشكل آلي سآكل سندويتش في الحديقة مقابل المسرح ، جالسة على نفس الكرسي ، مع آخرين يختارون نفس الكراسي ليجلسوا عليها ويتناولوا الغداء ، بشر لهم نفس النظرة الخاوية ، لكنهم يتظاهرون باستغراقهم الشديد في أمور مهمة

ثم سأعود إلى العمل ، وأستمع إلى النميمة حول من تصاحب من ، ومن يعاني من ماذا ، وكيف أن فلانة غارقة في دموعها بسبب زوجها ، وسأترك بصحبة شعور بالتميز لأنني جميلة ، لدي عمل ، وأستطيع أن أحصل على أي رجل أختار وسوف أعود إلى البارات في آخر النهار ، وكل شيء سيكرر نفسه من جديد

أمي ، والتي لابد أنها فقدت صوابها بسبب محاولة انتحاري ، ستخرج من الصدمة وتعاود سؤالي عما أريد أن أفعله بحياتي ، ولماذا أنا لست مثل الأخريات ، وأن الأمور ليست بالتعقيد الذي أظنه . «أنظري إليّ ، مثلاً ، أنا متزوجة من والدك منذ سنين ، حاولت أن أمنحك أفضل تنشئة وأن أكون أفضل قدوة لك»

يوماً ما ، سوف أضجر من كلامها المكرر ، ولأرضيها سوف أتزوج رجلاً أقنع نفسي بحبه هو وأنا سننتهي إلى الحلم بمستقبل مشترك. منزل في الريف ، أطفال ، ومستقبل أطفالنا . سنمارس الحب كثيراً في العام الأول ، وأقل في العام الثاني ، وبعد العام الثالث ، ربما يبدأ الناس في التفكير في الجنس مرة كل أسبوعين ، ويعيشون الفكرة عملياً مرة في الشهر والأسوأ من ذلك أننا قليلا ما سنتحدث . سأرغم نفسي على قبول الحال ، وأطرح تساؤلات حول عيوبي وأخطائي ، لأنه لن يعود راغباً فيّ ، وسيتجاهلني ، ولن يفعل شيئا غير الحديث عن أصدقائه ، وكأنهم عالمه الحقيقي .

وعندما يشرع الزو ج في الانهيار ، سوف أقرر أن أحمل ، سيكون لدينا طفل، وسنشعر بالتقارب لوقت ما ، وبعد ذلك سيعود الحال إلى ماكان عليه .

سأبدأ في السمنة مثل خالة تلك الممرضة التي كانت تحدثني بالأمس أو ربما منذ أيام مضت ، لا أدري وسأحاول أن أتبع ريجيما غذائياً وأهزم يومياً بانتظام ، وأسبوعياً ، بالوزن الزائد الذي سيستمر في التسلل إلى رغم كل محاولات السيطرة التي سأمارسها وعند هذه النقطة ، سوف أبتلع الحبوب السحرية التي توقف شعورك بالاكتئاب ، وسألد المزيد من الأطفال ، الذين سأحمل بهم خلال الليالي التي يمارس الحب فيها سريعاً .

سأقول للجميع إن الأطفال هم سبب حياتي ، بينما الحقيقة هي أن حياتي هي سبب إنجابهم .

سيعتبرنا الناس ثنائياً سعيداً ، ولن يعرف أحدكم مدى الوحدة ، والوحشة واليأس تحت سطح تلك السعادة .

حتى يأتي ذلك اليوم ، حين يتخذ زوجي لنفسه عشيقة للمرة الأولى ، وسوف أثير زوبعة مثل خالة تلك الممرضة ، أو أعاود التفكير في قتل نفسي ، رغم أنني سأكون أكبر سناً وأكثر جبناً ، ومسئولة عن احتياجات طفلين أو ثلاثة ، وسوف أضطر إلى تربيتهم ومساعدتهم ليجدوا مكاناً في هذا العالم قبل أن أهجر كل شيء . لن أقوم بالانتحار . سأعمل فضيحة ، وأهدد بالمغادرة بصحبة أطفالي . ومثل كل الرجال ، سيعود إليّ زوجي ، ويخبرني بأنه يحبني وأن خطأه لن يتكرر مرة أخرى . ولن يخطر في باله ، أنني لو قررت هجره بالفعل ، سيكون خياري الوحيد هو العودة إلى منزل والدي والبقاء هناك حتى آخر العمر ، مرغمة على الاستماع إلى أمي مكررة ثرثرتها طوال اليوم حول كيف أضعت فرصتي الوحيدة لأكون سعيدة ، وأنه كان زوجاً رائعاً بالرغم من نزواته ، وأن أطفالي سيتعقدون من ذلك الفراق .

بعد عامين أو ثلاثة ، ستظهر امرأة أخرى في حياته . سأكتشف ذلك . لأنني رأيتهما ، أو لأن شخصاً ما أخبرني بذلك . لكن هذه المرة سأتظاهر بأنني لا أعلم . لقد أهدرت كل طاقتي في محاربة العشيقة الأولى ، ولم تعد لدي طاقة ، ومن الأفضل أن أقبل الحياة كما هي عليه في الحقيقة ، وليس كما تخيلتها . لقد كانت أمي محقة .

سيستمر في كونه زوجاً مهذباً ، وسأستمر في العمل في المكتبة ، وأكل الساندويتشات في الميدان مقابل المســـرح ، وفي قراءة كتب لا أكملها ، ومشاهدة برامج التليفزيون المكــررة كما هي منذ عشرة ، عشرين ، خمسين عاما مرت .

غير أنني سألتهم شطيرتين بإحساس بالذنب ، لأنني أزداد سمنة ، ولن أذهب إلى الندوات بعد ذلك لأن لدي زوجاً يتوقع مني العودة إلى المنزل مبكراً ورعاية الأطفال .

بعد ذلك ، سيكون الأمر هو انتظار أن يكبر الأطفال وقضاء كل اليوم في التفكير في الانتحار ، دون أن أملك الشجاعة لتنفيذ ذلك . ويوماً ما ، سأتوصل إلى أن هذه هي الحياة ، وأنه من غير المجدي القلق حول ذلك ، لا شيء سوف يتغير . وسوف أتقبل ذلك .

أنهت فيرونيكا المونولوج بداخلها وعاهدت نفسها أنها لن تغادر فيليت حية . من الأفضل وضع نهاية لكل شيء الآن ، وهي مازالت شجاعة وقادرة على الموت .

غاصت في النوم واستيقظت عدة مرات ، ملاحظة أن عدد الآلات الطبية حولها قد قل ، وأن دفء جسمها يزداد ، وأن وجوه الممرضات تتغير ، لكن كان دائماً شخص بقربها . ومن خلال الستائر الخضراء سمعت صوت شخص ما يبكي ، انتحاب ، أو أصوات تهمس بهدوء ، نغمات آلية . ومن وقت لآخر ، ترن آلة بعيدة وتسمع خطوات راكضة في الممر . عندئذ ستفقد الأصوات هدوءها ، ونغمتها الآلية وستصبح متوترة ، ملقية بأوامر سريعة .

وفي إحدى لحظات صحوها ، سألتها ممرضة

«ألا تريدين أن تعرفي كيف أنت؟»

ردت فيرونيكا «أعرف بالفعل ، وما أعرفه لا علاقة له بما ترينه يحدث لجسدي ، إنه ما يحدث في روحي»

حاولت الممرضة مواصلة الحوار ، لكن فيرونيكا تظاهرت بالنوم

عندما فتحت عينيها مرة أخرى ، لاحظت أنها انتقلت إلى مكان ما ، كان أشبه بجناح كبير . ومازال الأنبوب في يدها ، ولكن كل الأنابيب الأخرى والإبر قد أزيلت .

طبيب طويل ، يرتدى المعطف الأبيض التقليدى ، يبدو فى تناقض حاد مع الأسود الصناعي الذى صبغ به شعره ولحيته ، كان واقفاً قرب قدميها عند حافة السرير . وبجانبه ، طبيب شاب متدرب يمسك باللوحة الطبية مسجلاً الملاحظات .

«منذ متى وأنا هنا» ؟ سألت ، ملاحظة أنها نطقت بصعوبة ، متلعثمة فى كلماتها ، قليلاً .

« قضيت فى هذا الجناح أسبوعين ، وخمسة أيام فى وحدة العناية المركزة» أجاب الرجل الكبير «وكونى ممتنة أنك مازلت هنا» .

بدا الشاب مستغرباً ، وكأن تلك الملاحظة الأخيرة لم تتناسب مع الحقائق. فيرونيكا لاحظت رد فعله مباشرة ، واستيقظ حدسها : هل كانت هنا لمدة أطول ؟ هل مازالت عرضة لخطر ما ؟ بدأت تنتبه لكل تعبير وحركة يقوم بها الرجلان ، كانت تعلم أنه من غير المجدى أن تطرح الأسئلة ، لن يخبراها بالحقيقة مطلقاً ، لكن إذا كانت ذكية ، فسوف تعرف ما يحدث .

قال كبير الأطباء : «أخبرينى باسمك ، عنوانك ، وضعك الاجتماعى ، وتاريخ ميلادك» ، كانت فيرونيكا تعرف اسمها ، ووضعها الاجتماعى ، وتاريخ ميلادها ، لكنها لاحظت أن هناك فراغات فى ذاكرتها ، لم تستطع أن تتذكر عنوانها .

أشعل الطبيب ضوءاً وسلطه على عينيها وفحصهما لمدة طويلة . فعل الشاب نفس الشيء . تبادلا النظرات ، مما لا يعنى شيئاً على الإطلاق .

سأل الرجل الأصغر «هل ذكرت للممرضة الليلية أننا لا نستطيع النظر إلى روحك» ؟

لم تتذكر فيرونيكا. كانت لديها صعوبة في معرفة من كانت وما الذي تفعله هناك.

«لقد أبقيت في نوم صناعي بتأثير المهدئات، وهذا يؤثر على ذاكرتك قليلاً، ولكن رجاء، حاولي الإجابة على أسئلتنا».

وبدأ الطبيب تحقيقاً سخيفاً، راغباً في معرفة أسماء صحف لجوبلجانا الرئيسية، واسم الشاعر صاحب تمثال الميدان الرئيسي (آه، هذا ما لن تنساه إطلاقاً، كل سلوفيني لديه صورة لبريزرين محفورة في روحه)، ولون شعر أمها، وأسماء زملائها في العمل، وعناوين أكثر الكتب شعبية في المكتبة.

في البداية، فكرت فيرونيكا في عدم الإجابة. مازالت ذاكرتها مشوشة – ولكن باستمرار التحقيق، بدأت في إعادة بناء ما قد نسيته. عند نقطة ما، تذكرت أنها الآن في مستشفى نفسي، وأن المجانين غير مضطرين إلى التماسك، لكن لمصلحتها، ولكسب الطبيب إلى صفها، كي ترى إذا كانت تستطيع أن تعرف أكثر حول حالتها، بدأت في بذل جهد فكري. وفيما هي تتلو الأسماء والوقائع، راحت تستعيد لا ذاكرتها فقط، ولكن أيضاً شخصيتها، رغباتها، وكيفية رؤيتها للحياة. إن فكرة الانتحار التي بدت، في الصباح، مدفونة تحت أنقاض المهدئات، طفت إلى السطح.

«حسناً»، قال الرجل الأكبر، في نهاية التحقيق.

«كم عليّ أن أبقى هنا؟»

خفض الرجل الأصغر عينيه، وأحست كأن كل شيء معلق في الهواء، وكأنما، حينما يطرح جواب على السؤال، سيكتب فصل جديد في حياتها، ولن يستطيع أي شخص أن يغيره.

قال الرجل الأكبر: «تستطيع إبلاغها، الكثير من المرضى الآخرين سمعوا

بالإشاعة، وهي ستعرف في نهاية المطاف، أنه من المستحيل الاحتفاظ بالأسرار هنا»

«حسنا، قررت مصيرك بنفسك»، زفر الرجل الشاب، وازناً كل كلمة. «لذا من الأفضل أن تعلمي نتائج أفعالك. خلال الغيبوبة التي سببتها الحبوب التي تناولتها، تلف قلبك بشكل غير قابل للإصلاح. كان هناك تعفن في البطين»

قال الرجل الأكبر: «ضعها في مصطلحات مفهومة، تحدث مباشرة»

«لقد تلف قلبك بالكامل وعما قريب سوف يتوقف عن النبض».

سألت مذعورة: «ما الذي يعنيه ذلك؟»

«إذا توقف قلبك عن النبض، فهذا يعني الموت. لا أعرف ماهي معتقداتك الدينية، ولكن»

«متى سيتوقف قلبي عن النبض؟» سألت فيرونيكا مقاطعة إياه.

«في خلال خمسة أيام، أسبوع على الأكثر»

لاحظت فيرونيكا أن وراء مظهره المهني وسلوكه، وأن وراء الاهتمام الخارجي، كان الشاب متلذذا بشدة فيما يقوله لها، وكأنها تستحق تلك العقوبة، وأنها ستصبح مثلاً وتكون عظة للآخرين طوال حياتها. لاحظت فيرونيكا أن كثيراً من الذين تعرفهم يتحدثون عن آلام ومصائب حيوات الآخرين وكأنهم مهتمون وقلقون بالفعل، ولكن الحقيقة أنهم يتمتعون بمعاناة الآخرين، لأن ذلك يجعلهم يؤمنون بأنهم سعداء جداً وأن الحياة كريمة للغاية معهم. إنها تكره هذا النوع من الأشخاص، ولم تكن لتمنح هذا الشاب الفرصة لاستغلال حالتها، ومن أجل أن تستفزه حدقت بعينيها في عينيه، وابتسمت، قائلة:

«لقد نجحت إذن».

وجاء الرد: «نعم». لكن كل لذة كان قد أخذها وهو يمنحها الأخبار الدامية كانت قد تلاشت.

وخلال الليل ، بدأت تشعر بالخوف . كان عليها أن تموت سريعاً بعد ابتلاع الحبوب ، لكنه شيء مختلف أن تنتظر خمسة أيام أو أسبوعا حتى يجيء الموت ، بعد ما مرت بأشياء كثيرة .

لقد قضت حياتها دوماً في انتظار شيء ما : أن يعود أبوها من العمل ، في انتظـار رسالة من عاشق لم تصل أبداً ، ولنهايات امتحانات العام ، للقطار ، والأتوبيس ، المكالمة الهاتفية ، العطلة ، نهاية العطلة . الآن عليها أن تنتظر الموت ، الذي ضرب موعداً معها .

«هذا مـا كـان يحدث إلا لي . عـادة الناس يموتون تمامـاً في اليوم الذي لا يتوقعونه» .

عليـها أن تخرج من هناك ، وأن تحصل على حبوب أكثر . إذا لم تستطع ، فالحل الوحيد أن تقفز من بناية عالية في لجوبلجانا ، حاولت أن تجنب والديها عذابات غير ضرورية ، لكنها الآن لا تملك أي خيار .

نظرت حولها . الأسرة مشغولة ببشر نائمين ، بعضهم يشخر عالياً . هناك قضبان على النوافذ . وفي آخر الجناح يطل ضوء ساطع يملأ المكان بظلال غريبة مما يعني أن الجناح كان تحت رقابة صارمة ودائمة . اقترب الضوء ، انها امرأة كانت تقرأ كتاباً .

«لابد أن هؤلاء المرضـات مثـقـفـات جداً ، فـهن يقضين جل حـيـاتـهن في القراءة».

كـان سرير فـيرونيكا هو الأبعد من البـاب ، بينها وبين المرأة هناك حـوالي عشرين سريراً . قامت بصعوبة لأنها ، إذا كان عليها أن تصدق ما قاله الطبيب ، فإنهـا لم تمش منذ ثلاثة أسابيع . نظرت المرضـة ورأت الفتاة قادمة ، وهي تسحب زجاجة المغذي معها .

«أريد أن أذهب إلى الحمام» ، همست ، خائفة من إيقاظ النساء المجنونات الأخريات» .

انحنت المرأة نحو الباب. كان عقل فيرونيكا يعمل بسرعة ، وهي تنظر حولها بحثاً عن طريق للهروب ، فتحة طريق للخارج. «لابد أن يكون ذلك خاطئاً ، فيما هم يظنون أنني مازلت واهنة ، وغير قادرة على التصرف» .

نظرت حولها. كان الحمام مربعاً صغيراً بدون باب. إذا أرادت الخروج من هنا ، فعليها أن تشد الممرضة وتتغلب عليها لتأخذ المفاتيح منها ، لكنها مازالت ضعيفة لفعل ذلك.

«هل هذا سجن» ؟ سألت الممرضة ، التي كفت عن القراءة وأصبحت الآن تراقب كل تحركاتها .

«كلا ، انه مستشفى نفسي»

«لكنني لست مجنونة»

ضحكت المرأة

«هذا ما يقوله الجميع »

«حسناً ، إذن ، أنا مجنونة ، لكن ما الذي يعنيه ذلك» ؟

أمرت المرأة فيرونيكا ألا تقف طويلاً على قدميها ، وأعادتها إلى السرير

«ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً» ؟ أصرت فيرونيكا

«اسألي الطبيب غداً . عودي إلى النوم الآن ، وإلا سأضطر إلى حقنك بالمهدئ ، إذا رغبت في ذلك أم لم ترغبي»

أطاعت فيرونيكا ، وفي طريق عودتها ، سمعت شخصاً يهمس من أحد الأسرة

«ألا تعرفين ما الذي يعنيه أن يكون الشخص مجنوناً ؟

للحظة ، فكرت في تجاهل الصوت . لم ترد عقد صداقات ، أو أن تطور حلقة اجتماعية ، أو تجد حلفاء لصنع ثورة شعبية. كانت لديها فكرة ثابتة واحدة الموت. إذا لم تستطع الفرار بالفعل ، ستجد طريقة ما لقتل نفسها هنا ، في أسرع وقت ممكن

لكن المرأة سألتها نفس السؤال الذي طرحته هي على الممرضة

«ألا تعرفين ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً» ؟

«من أنت» ؟

«اسمي زيدكا . عودي إلى سريرك . ثم ، حين تظن الممرضة أنك نائمة ، تسللي إلى هنا» .

عادت فيرونيكا إلى سريرها ، وانتظرت عودة الممرضة إلى مواصلة القراءة ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً ؟ لم تكن لديها أدنى فكرة. لأن الكلمة كانت تستعمل بشكل فوضوي متعدد. يقول الناس ، مثلاً ، إن بعض الرياضيين مجانين لأنهم يريدون ضرب رقم قياسي ، أو إن الفنانين مجانين لأنهم يعيشون حياة غريبة ، غير آمنة ، ومختلفة عن حياة البشر العاديين . على صعيد آخر ، كانت فيرونيكا ترى أشخاصاً هؤلاء يسيرون في شوارع لوبيجانا في الشتاء ، يدفعون عربات السوبر ماركت المليئة بأكياس بلاستيكية وأسمال ، ويحذرون من نهاية العالم

لم تشعر بالنعاس ، حسب قول الطبيب ، لقد نامت لمدة أسبوع تقريباً ، وهذه مدة طويلة بالنسبة إلى شخص اعتاد الحياة دون مشاعر كبيرة ، ولكن بمواعيد محددة للراحة . ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً ؟ عليها أن تسأل أحد المجانين

تسللت فيرونيكا ، بعد أن أزالت الإبرة من يدها ، ذهبت إلى سرير زيدكا ، محاولة تجاهل معدتها المضطربة . لا تعرف إذا ما كان الشعور بالغثيان بسبب قلبها الضعيف أو المجهود الذي عليها أن تبذله

«لا أعرف ما الذي يعنيه أن تكون مجنوناً» ، همست فيرونيكا . لكنني لست كذلك . أنا مجرد انتحار فاشل»

«أي شخص يعيش في عوالمه هو مجنون . مثل أصحاب الانفصامات الشخصية ، والعصابيين ، والمجانين . أعني الناس المختلفين عن الآخرين» .

«مثلك» ؟

«على جانب آخر» ، أكملت زيدكا ، متظاهرة بأنها لم تسمع التعليق ، «هناك إينشتاين ، الذي يقول إنه ليس هناك زمن أو مكان ، فقط خليط منهما . أو كولمبوس ، الذي أصر على أن الجحيم لا يوجد في الجانب الآخر من العالم بل قارة . أو إدموند هيلاري ، الذي آمن أن الإنسان يستطيع بلوغ قمة إفريست أو فرقة البيتلس ، التي ابتدعت موسيقى مختلفة بالكامل وارتدوا ملابس مثل بشر من زمن آخر . هؤلاء الناس ، وآلاف غيرهم - كلهم يعيشون في عوالمهم»

«هذه المرأة تتحدث بمنطق كبير» ، فكرت فيرونيكا ، متذكرة حكايات كانت تقولها لها أمها عن القديسين الذين حلفوا الأيمان بأنهم تحدثوا مع عيسى أو مريم العذراء . هل كانوا يعيشون في عالم آخر ؟

«لقد شاهدت مرة امرأة ترتدي ثوباً مكشوفاً ، كانت لديها نظرة نائمة في عينيها وهي تسير في شوارع لجوبيجانا عندما كانت درجة الحرارة خمسة تحت الصفر . ظننت أنها لابد أن تكون مخمورة ، ذهبت لأساعدها ، لكنها رفضت عرضي بأن أعيرها معطفي . ربما في عالمها كان هناك صيف وكان جسدها دافئاً برغبتها في الشخص الذي ينتظرها . حتى لو كان ذلك الشخص موجوداً في وهمها ، كان لها الحق في أن تعيش وتموت كما أرادت ، ألا تظنين ذلك» ؟

لم تعرف فيرونيكا ما تقول ، ولكن كلمات المرأة المجنونة كانت منطقية بالنسبة لها . من يعرف ، ربما كانت هي نفسها تلك المرأة التي شوهدت نصف عارية في شوارع لجوبيجانا ؟

قالت زيدكا «سأروي لك قصة ، أراد ساحر أن يدمر مملكة كاملة ، دس جرعة سحرية في البئر التي يشرب منها السكان . كل من يشرب من البئر سوف يجن»

«في الصباح التالي ، شرب كل السكان من البئر وأصابهم الجنون ، بخلاف الملك وعائلته ، الذين كانت لديهم بئر خاصة بهم وحدهم ، والتي لم يستطع الساحر أن يسممها . كان الملك قلقاً ، حاول أن يسيطر على السكان بإصدار سلسلة من الأوامر والأحكام حول الأمن والصحة العامة .

رجال الشرطة والمخبرون ، شربوا أيضاً من الماء المسمم وفكروا في أن قرارات الملك كانت شاذة ولم يأبهوا بها .

«عندما سمع سكان المملكة بتلك الأوامر والأحكام ، اقتنعوا جميعاً بأن الملك قد جن وأصبح يصدر أوامر غير منطقية . فساروا في مظاهرة إلى القصر مطالبين بخلعه من الحكم .

«في يأس ، أعد الملك نفسه للتنازل عن العرش ، لكن الملكة منعته من ذلك ، قائلة : دعنا نذهب ونشرب من بئر العامة . حينئذ سنكون مثلهم سواء»

«وهذا هو ما فعله . الملك والملكة ، شربا من ماء الجنون وبدأ مباشرة في الحديث غير المنطقي . ندم وتاب مواطنوه على الفور ، الآن حينما صار الملك يمتلك كل تلك الحكمة ، لِمَ لا يسمح له بالاستمرار في حكم البلد» ؟

«ظلت البلد تعيش في سلام ، رغم أن سكانها كانوا يتصرفون بطريقة مختلفة تماماً عن جيرانهم . واستطاع الملك أن يستمر في الحكم حتى آخر أيامه» .

ضحكت فيرونيكا .

«لا تبدين مجنونة على الإطلاق» .

قالت : «لكنني كذلك ، بالرغم من أنني أخضع للعلاج ، لأن مشكلتي أنني أفتقد لعنصر كيميائي معين . على كل ، بالرغم من أنني أتمنى أن الكيماويات

ستخلصني من كتثاني الزمن ، أود أن أستمر في الجنون ، وأن أعيش حياتي كما حلمت به ، وليس بالطريقة التي يريدها لي الآخرون هل تعرفين ماذا يوجد هناك ، خارج أسوار فيليت» ؟

«ناس جميعهم شربوا من نفس البئر»

قالت زيدكا «بالضبط ، يظنون أنهم طبيعيون ، لأنهم جميعاً يفعلون نفس الشيء حسناً سوف أتظاهر أنني شربت من نفس البئر مثلهم»

«لقد فعلت ذلك بالفعل ، وهذه هي مشكلتي لم أشعر أبداً بالاكتئاب، أو الفرح الكبير أو الحزن ، على الأقل لا شيء استمر لدى نفس مشاكل الآخرين» .

لبرهة ، لم تقل زيدكا شيئاً ، ثم

«قالوا إنك ستموتين» .

ترددت فيرونيك الحصة . هل تستطيع أن تثق في هذه المرأة ؟ عليها ألا تخاطر .

«نعم ، في خلال خمسة أو ستة أيام . فإنني أتساءل إذا ما كانت هناك طريقة أسرع للموت إذا كنت ، أنت أو شخص آخر تستطيعين تزويدي بالمزيد من الحبوب ، أنا متأكدة أن قلبي لن يستطيع النجاة هذه المرة عليك أن تفهمي كم هو كريه أن تضطري لانتظار الموت ، لابد أن تساعديني» .

قبل أن تستطيع زيدكا الرد ، ظهرت الممرضة بالحقنة وقالت :

«أستطيع أن أحقنك بنفسي أو حسب ما تشعرين بذلك ، أستطيع أن أستدعي الحرس بالخارج لمساعدتي»

قالت زيدك لفيرونيكا «لا تهدري طاقتك، احتفظي بقواك ، إذا أردت الحصول على ما طلبته مني» .

وقامت فيرونيك ، ثم عادت إلى السرير وسمحت للممرضة بمباشرة عملها

كان أول أيامها العادية في المستشفى العقلي . خرجت من الجناح ، تناولت فطورها في قاعة كبيرة حيث يأكل الرجال والنساء معاً . لاحظت كم تختلف هذه الأماكن عن الأماكن المصورة في الأفلام – المشاهد الهستيرية ، الصراخ ، ناس يقومون بحركات مهينة كل شيء بدا وكأنه محاط بحلقة من الصمت القسري، بدا وكأن لا أحد يريد أن يشارك عالمه الداخلي مع غرباء .

بعد الفطور (الذي لم يكن سيئاً على الإطلاق ، لا أحد يستطيع أن يلوم فيليت على السمعة السيئة للوجبات) ، خرجوا جميعا للاستدفاء بالشمس في الواقع ، لم تكن هناك أية شمس - كانت درجة الحرارة تحت الصفر والحديقة مغطاة بالثلوج

قالت فيرونيكا لإحدى الممرضات «أنا لست هنا لكي أحافظ على حياتي ، ولكن لكي أفقدها»

« عليك ، رغم ذلك ، أن تخرجي وتأخذي الشمس»

«أنتم مجانين ، ليست هناك أية شمس» .

«ولكن هناك ضوءاً ، وهذا يساعدني على تهدئة المرضى . لسوء الحظ ، شتاؤنا يطول كثيرا ، لو لم يكن كذلك ، كان عملنا سيكون أقل» .

كان الجدل غير مجد، خرجت ومشت قليلاً ، مستكشفة حولها وباحثة عن طريق للهروب الحوائط عالية ، كما هو مطلوب من بناة الحواجز القديمة ، لكن برج المراقبة كان خاوياً ، والحديقة محاطة ببنايات شبه عسكرية ، حيث هي الآن أجنحة الرجال والنساء المكاتب الإدارية وغرف العاملين . بعد استكشاف مبدئي سريع ، أما المكان الوحيد المحروس فهو البوابة الرئيسية ، حيث كل من يدخل تفحص أوراقه عبر إثنين من الحرس .

بد كل شيء في مكانه في عقلها مرة أخرى. ولتدريب ذاكرتها، حاولت أن تتذكر أشياء صغيرة، مثل المكان الذي كانت تترك فيه المفاتيح لغرفتها، الأسطوانة التي اشترتها مؤخراً، آخر كتاب طلب منها في المكتبة

قالت امرأة تقترب: «أنا زيدكا»

في الليلة السابقة، لم تتمكن فيرونيكا من رؤية وجهها، كانت جالسة قرب سريرها طوال وقت المحادثة

لابد أن زيدكا في حوالي الخمسة والثلاثين وتبدو طبيعية تماماً.

«آمل ألا تكون الحقنة قد أزعجتك كثيراً. بعد فترة، يتشبع الجسد، وتفقد المهدئات مفعولها»

«أنا بخير»

«حول حديثنا بالأمس، هل تتذكرين ما الذي طلبته مني»؟

«بالتأكيد أتذكر»

أخذتها زيدكا من ذراعها، وأخذتا في السير متحاذيتين، وسط الأشجار العارية الكثيرة في الفناء. خلف الحوائط، تستطيع أن ترى الجبال مختفية في السحب.

«إنه برد، لكنه صباح جميل على كل حال»، قالت زيدكا، «للغرابة، لم أعان من الاكتئاب في البرد، أو الأيام ذات السحب الرمادية مثل هذه. كنت أشعر كأن الطبيعة متناغمة معي، وأنها تعكس روحي. في الجانب الآخر، عندما تبزغ الشمس ويخرج الأطفال للعب في الشوارع، ويبدو الجميع سعداء لكونه يوماً جميلاً، أبدأ بالشعور بالأسى. وكأن ذلك يعكس جمالاً لا أستطيع المشاركة فيه وكان ذلك غير عادل بعض الشيء»

برقة، خلصت فيرونيكا نفسها من المرأة. لم تكن تحب التقارب الجسدي

«لم تكملي الذي كنت تقولينه. كنت تقولين شيئاً عن ما ذكرته لك في الليلة الماضية»

«هناك مجموعة من الأشخاص هنا، رجال ونساء بإمكانهم أن يغادروا، وأن يعودوا إلى منازلهم، لكنهم لا يريدون الرحيل. هناك أسباب كثيرة لذلك: فيليت ليس بالسوء الذي نظنه الناس، رغم أنه ليس فندقاً خمسة نجوم. هنا في الداخل، يستطيع كل شخص أن يقول ما يريد، وأن يفعل ما يشاء، دون أن ينتقده أحد، في آخر الأمر هذا مستشفى عقلي. ثم، عندما يكون هناك تفتيش حكومي، يتصرف هؤلاء النسوة والرجال مثل مجانين خطرين، لأن بعضهم هنا تحت بند الرعاية الحكومية. الطبيب يعرف ذلك، ولكن لابد من وجود أمر من الملاك ليسمح بالوضعية في الاستمرار، لأن هناك شواغر في المكان أكثر من المرضى».

«هل يستطيعون الحصول على بعض الحبوب من أجلي»؟

«جربي وتواصلي معهم، إنهم يسمون مجموعتهم الأخوية»

أشارت زيدكا إلى امرأة ذات شعر أبيض، تتحدث بحميمية إلى بعض النساء الشابات

«اسمها ماري، وهي عضو في الأخوية. اسأليها»

فيرونيكا بدأت في السير نحو ماري، لكن زيدكا أوقفتها

«لا، ليس الآن، إنها تستمتع بوقتها. وهي لن تتوقف عن شيء يمنحها المتعة، فقط لتكون لطيفة مع شخص غريب بالكامل. إذا كان رد فعلها سيئاً، فلن تتمكني من أية فرصة أخرى للاقتراب منها. «المجانين» دائماً يؤمنون بالانطباع الأول».

ضحكت فيرونيكا للطريقة التي لفظت بها زيدكا «مجانين». ولكنها قلقت أيضاً، لأن كل شيء هنا يبدو طبيعياً، ولطيفاً جداً. بعد كل تلك الأعوام من

الذهاب مباشرة من العمل إلى البار، ومن البار إلى السرير مع عاشق ما، ومن السرير إلى غرفتها، ومن غرفتها إلى بيت أمها. كانت الآن تجرب شيئا لم تحلم به من قبل: مستشفى عقلي، جنون، مصحة مجانين، حيث البشر لا يستحون من القول إنهم مجانين، وحيث لا أحد يتوقف عن شيء يمنعه ليجامل الآخرين.

بدأت تشك فيما إذا كانت زيدكا جادة، أو إذا ما كانت مجرد كيفية يستطيع أن يتظاهر بها المرضى العقليين بأن العالم الذي يحيون فيه كان أفضل. ولكن ماذا يهم ذلك؟ كانت تجرب شيئاً ممتعاً، مختلفاً، وغير متوقع على الإطلاق: تخيل مكاناً حيث يتظاهر الناس بالجنون كي يفعلوا ما يريدونه بالفعل.

في هذه اللحظة بالذات، اضطرب قلب فيرونيكا فجأة، تذكرت ما الذي قاله الطبيب وشعرت بالذعر.

«أريد أن أتمشى لوحدي قليلاً» قالت لزيدكا. إنها «مجنونة» في آخر الأمر، ولم تعد مضطرة لمجاملة الآخرين.

ابتعدت المرأة، ووقفت فيرونيكا تتأمل الجبال خلف أسوار فيليت. ساورتها رغبة خفيفة في الحياة على السطح، ولكن فيرونيكا قررت أن تطردها.

«يجب أن أحصل على الحبوب بأسرع وقت ممكن».

تأملت حالتها هناك، كانت بعيدة عن الوضع المثالي. وحتى لو سمحوا لها بعمل كل الأشياء المجنونة التي تودها، لن تعرف أين تبدأ.

إنها لم تفعل أي جنون طوال حياتها.

بعد بعض الوقت في الحديقة، عاد الجميع إلى الكافتيريا للغداء، ومباشرة بعد ذلك قادت الممرضات الرجال والنسوة إلى قاعة ضخمة مقسمة إلى مناطق مختلفة، كانت هناك موائد ومقاعد، أرائك، بيانو، تليفزيون ونوافذ كبيرة تستطيع من خلالها مشاهدة السماء الرمادية والسحب القريبة. لم تكن هناك قضبان أمام أي من النوافذ، لأن القاعة تفتح على الحديقة

فالأبواب مغلقة بسبب البرد، ولكن كل ما عليك أن تدير الأكرة، لتخرج إلى الخارج من جديد وتتمشى بين الأشجار.

ذهب أغلبهم للجلوس أمام شاشة التليفزيون، وحدق آخرون في الفراغ، وتحدث البعض بأصوات خفيضة مع أنفسهم، ولكن من لم يفعل الشيء نفسه في لحظة ما في حياته؟ لاحظت فيرونيكا أن العجوز ماري كانت الآن مع مجموعة أكبر في إحدى زوايا القاعة الواسعة. بعض المرضى الآخرين كانوا يمشون قرب فيرونيكا وحاولت أن تنضم إليهم حتى تتنصت على كلام المجموعة.

حاولت أن تخفي نواياها بقدر الإمكان، ولكن كلما اقتربت منهم، صمتوا جميعاً والتفتوا إليها كشخص واحد.

«ماذا تريدين؟» قال رجل عجوز، وقد بدا كقائد للأخوية (إذا كان مجموعة كهذه بالفعل، وزيدكا لم تكن أكثر جنوناً مما تبدو).

«لا شيء، كنت مارة فقط».

تبادلوا النظرات، وصنعوا بعض الحركات الجنونية برؤوسهم. قال أحدهم للآخر «كانت مارة فقط». ردد الآخر تلك الملاحظة بصوت أعلى هذه المرة، وعاجلاً ما كان الجميع يصرخ بتلك الكلمات.

لم تعرف فيرونيكا كيف تتصرف ووقفت متجمدة من الخوف. ممرضة مخيفة المظهر اقتربت لتعرف ما الذي يحدث هناك.

«لا شيء» قال أحد أعضاء المجموعة. «كانت مارة فقط. إنها تقف هناك، ولكنها مازالت مارة فقط».

سقطت المجموعة بكاملها في القهقهة. تظاهرت فيرونيكا بالتهكمية، ابتسمت، استدارت وتحركت للبعيد، حتى لا يلحظ أي كان أن عينيها ملآنين بالدموع. خرجت إلى الحديقة دون أن ترعج نفسها بوضع معطف أو شال عليها. حاول

معرض أن يقنعها بالعودة. ولكن آخر جاء وهمس بشيء في أذنيه، وتركاه الإثنان بسلام، في البرد. لم يكن هناك أي معنى في الاهتمام بصحة محكوم عليه بالموت.

كانت مشوشة، متوترة، ومنزعجة من نفسها، لم تسمح في حياتها لنفسها بأن تستفز، وتعلمت منذ سن مبكرة، أنه كل ما جدت وضعية ما، عليه أن تبقى هادئاً ومنفصلا. غير أن هؤلاء المجانين نجحوا في جعلها تشعر بالخجل، الخوف الغضب، والرغبة في قتلهم جميعاً، وأن تجرحهم بالكلمات التي لم تجرؤ على نطقها.

ربما كانت الحبوب أو العلاجات التي أخضعوها لها للخروج من الغيبوبة قد حولتها إلى امرأة هشة، عاجزة عن الدفاع عن نفسها. لقد واجهت أوضاعاً أشد سوءاً في صباها، ولكن للمرة الأولى، لم تستطع أن تكتم دموعها. لقد كانت بحاجة إلى العودة إلى الشخص الذي كانته، شخص قادر على رد الفعل بتهكمية، وأن تتظاهر بأن الإهانات لا تزعجها لأنها كانت أفضل منهم، جميعاً. من في تلك المجموعة، كان شجاعاً ليطلب الموت؟ من منهم يستطيع أن يعلمها ما هي الحياة في حين حاولوا أن يختبئوا وراء أسوار فيلات؟ إنها لن ترغب أبداً في الاعتماد عليهم لمساعدتها في أي شيء، حتى لو اضطرت لانتظار الموت لخمسة أو ستة أيام.

يوم واحد قد مضى. سامحة للبرد القارص أن يدخل إلى جسدها ليهدئ من فورة دمها الذي يجري بسرعة، وقلبها الذي يخفق بشدة.

«بصدق، ها أنا هنا، بأيامي المحدودة حرفياً، وأعطي أهمية لملاحظات ينطق بها أناس لم أرهم من قبل، أناس لن أراهم قريباً من جديد، ومع ذلك أتعذب وأغضب، أريد أن أهاجم وأدافع عن نفسي. لماذا كل هذا الهدر لوقتي؟

لكنها كانت تضيع الوقت القليل الباقي لها، محاربة من أجل المكان الصغير في ذلك المجتمع الغريب حيث عليك أن تختلق معركة إذا أردت ألا يفرض عليك الآخرون قوانينهم.

« لا أستطيع أن أصدق ذلك، لم أكن أبداً هكذا . لم أكن أتعارك من أجل أشياء غبية»

توقفت في منتصف الحديقة المحمدة. لقد كان بالضبط لأنها وجدت كل شيء عبثياً لدرجة أنها انتهت إلى قبول ما أرغمت عليه، الحياة بشكل طبيعي في صباها، كانت تفكر أنه من المبكر لها أن تحتار، في الشباب كانت مقتنعة بأن الوقت تأخر على تغيير ما تريد.

وفيما صرفت طاقتها كل ذلك الوقت حتى الآن؟ في محاولة تأكيد أن حياتها ستمرت كما كانت عليه دائماً. لقد تخلت عن الكثير من رغباتها كي يستمر والداها في حبهم لها كما كانت وهي طفلة، حتى وهي تدرك أن الحب الحقيقي يتغير وينمو مع الوقت ويكتشف طرقا جديدة للتعبير عن نفسه. يوما ما، عندما استمعت لأمها وهي تخبرها، باكية، أن زواجها قد انتهى، ذهبت فيرونيكا إلى أبيها، وبكت، وهددت حتى أخذت وعدا منه بأنه لن يغادر البيت، غير متخيلة لفداحة الثمن الذي سيدفعه والداها لذلك.

عندما قررت الحصول على عمل، رفضت عرضاً مغرياً من شركة جديدة أنشئت في بلدها من أجل العمل في مكتبة عامة، حيث لا تكسب الكثير من النقود، ولكن تشعر بالأمان الوظيفي، كانت تذهب إلى العمل يومياً، محافظة على مواعيد العمل باستمرار، مؤكدة أنها ليست تهديداً لرؤسائها. كانت قانعة، لم ترد الصراعات، ولذلك فإنها لم تتصور كل ما أرادته كان مرتبها في نهاية الشهر.

استأجرت غرفة في الدير، لأن الراهبات طلبن من كل المستأجرين العودة في وقت محدد، وبعد ذلك يقفلن الأبواب: كل شخص كان لا يزال خارجاً بعد ذلك يضطر إلى النوم في الشـــــارع كان دائماً لديها عـــذر مقنع لعشاقها حتى لا تقضي الليلة في غرفة الفنادق أو أسرة غريبة

عندما كانت تهم بالزواج، تتخيل نفسها في بيت صغير خارج لجو بلجانا، مع رجل مختلف عن أبيها، رجل يكسب ما يكفي لسد احتياجات أسرته، وسيكون قانعاً لبقائه معها في البيت أمام المدفأة ناظراً معه إلى الجبال المغطاة بالثلوج

عودت نفسها على إعطاء الرجال قدراً محدداً من المتعة، لا أقل ولا أكثر، الضروري فقط. لم تغضب من أحد ، لأن ذلك سيعني أن تواجه، وأن تصارع العدو، وأن ترى نتائج غير متوقعة، وحقداً وثأراً.

وعندما حققت تقريبا معظم ما أرادته في الحياة، وصلت إلى خلاصة أن وجودها بلا معنى، لأن كل يوم يشبه غيره، وقررت أن تموت

عادت فيرونيكا إلى الداخل وسارت إلى المجموعة في زاوية معينة من القاعة كانوا يتحدثون بحميمية، صمتوا عندما اقتربت

ذهبت مباشرة إلى الرجل المحور، والذي كان يبدو القائد وقبل أن يستطيع أحد منعها، منحته صفعة مدوية على وجهه

«ألن ترد؟» سألته بصوت عال، حتى يسمعها كل من في القاعة «ألن تفعل شيئاً؟»

«كلا»، قال الرجل وهو يمرر يده على وجهه، وخرج خيط من الدم من أنفه. «لن تزعجينا طويلاً».

تركت القاعة وعادت بفخر إلى الجناح. لقد فعلت شيئاً لم تفعله من قبل.

مرت ثلاثة أيام منذ تلك الحادثة مع المجموعة التي دعتها زيدكا بالأخوية، ندمت فيرونيكا على الصفعة، ليس لأنها كانت خائفة من رد فعل الرجل، بل لأنها

فعلت شيئاً مختلفاً عن طبيعتها بدء لم تتوخ الحذر، ربما تنتهي إلى الاقتناع بأن الحياة تستحق أن تعاش، وسيسبب ذلك لها ألماً لا داعي له، بما أنها ستغادر الحياة سريعاً على كل حال

كان خيارها الوحيد هو أن تبتعد عن كل شيء وكل شخص، وأن تكون في كل شيء كما اعتادت طوال حياتها، أن تطيع قوانين فيليت وأحكامها . لقد عودت نفسها على النظام الجدي لمستشفى الاستيقاظ مبكراً، تناول الفطور، السير في الحديقة، الغداء، الذهاب إلى القاعة، السير مرة أخرى في الحديقة، ثم العشاء، التليفزيون والنوم.

قبل أن تخلد فيرونيكا للنوم، كانت ممرضة تأتيها دائماً بالدواء، وتأخذ النساء الأخريات حبوباً، فيرونيكا الوحيدة التي يتم حقنها بالإبرة. لم تشك أبداً ، تريد أن تعرف لماذا يعطونها كل تلك المهدئات، بما أنها لم تكن تعاني من أية مشكلة في النوم شرحوا لها أن الحقن لم تكن مهدئات، بل دواء لقلبها

وهكذا، من خلال السقوط في الروتين، بدت أيامها في المستشفى متشابهة وعندما تكون كل الأيام متشابهة، فإنها تمر سريعاً، بعد يومين أو ثلاثة لن يكون عليها أن تنظف أسنانها أو تمشط شعرها لاحظت فيرونيكا أن قلبها يزداد ضعفاً، أصبحت بسهولة منقطعة الأنفاس، وزاد الألم في صدرها، لم تعد لديها شهية، ومجرد المجهود الصغير يصيبها بالدوخة

بعد تلك الحادثة مع الأخوية، كانت أحيانا تفكر: «لو كان لي خيار، لو فهمت مبكراً أن سبب تشابه أيامي لأنني أردته كذلك، ربما..»

لكن الإجابة دائماً هي نفسها «لم يعد هناك من خيار» ويعود إليها سلامها الداخلي، لأن كل شيء صار حتميا

وخلال هذه الفترة، كونت صلة مع زيدكا (لأنها ليست صداقة، لأن الصداقة تستوجب حقبة من الزمن لتقضياها معاً، وهذا لن يكون متاحاً) اعتادتا لعب

الورق – مما ساعد على أن يمر الوقت أسرع وأحيانا تتمشيان معاً، بصمت، في الحديقة.

ذات صباح، وبعد الفطور مباشرة، خرجوا جميعاً تحت الشمس، كما تقتضي الأنظمة. أمرت ممرضة زيدكا بالعودة إلى الجناح، لأنه كان يوم معالجتها.

فيرونيكا، والتي كانت تفطر معها، سمعت الطلب.

«ما هذه المعالجة؟»

«إنها معالجة قديمة، منذ حقبة الستينيات، لكن الأطباء يعتقدون أنها ممكن أن تعجل في شفائي. هل تريدين أن تصاحبيني للمشاهدة؟»

قلت إنها مصابة بالاكتئاب. أليس كافيا أخذ الأدوية لتعويض عناصر جسمك الكيميائية المفقودة؟

أصرت زيدكا «هل تريدين أن تراقبيني؟».

كانت تكسر الروتين، فكرت فيرونيكا، كانت ستكتشف شيئاً جديداً، عندما لم تعد بحاجة إلى تعلم أي جديد، كل ما كنت تحتاجه هو الصبر. لكن فضولها تغلب عليها وهزت رأسها موافقة.

قالت الممرضة «هذا ليس استعراضاً، تعرفين أنها سوف تموت، وهي لم تر الكثير. دعيها تأتي معك»

راقبت فيرونيكا المرأة مازالت مبتسمة، وقد تم ربطها على السرير.

قالت زيدكا للممرض، «أخبرها بالذي يحدث وإلا فإنها ستصاب بالذعر»

التفت إليها وأراها الحقنة. كان يبدو سعيداً أنه يعامل مثل طبيب، يشرح لطبيب أصغر المقياس الصحيح والمعالجة المثالية.

«تحتوي الإبرة على جرعة من الأنسولين»، قال بصوت تقني عميق «إنها تستعمل لمرضى السكري لمعالجة الجلوكوز المرتفع في الدم. لكن، عندما تكون الجرعة أكثر من المعتاد فإنه ينتج عن هبوط الجلوكوز في الدم حالة من الإغماء»

ضغط على الحقنة بخفة، للتخلص من أي هواء، ثم غرزها في عروق القدم اليمنى لزيدكا.

«هذا هو ما سيحدث الآن، سوف تدخل في حالة إغماء قسرية، لا ترتعبي إذا جحظت عيناها، ولا تتوقعي أن تتذكرك عندما تكون تحت تأثير الدواء»

«إن هذا مريع، غير إنساني. الناس يكافحون للخروج من الغيبوبة لا للدخول فيها»

أجابها الممرض «يكافح الناس كي يعيشوا، لا لينتحروا». إلا أن فيرونيكا تجاهلت ملاحظته.

«كما أن حالة الإغماء تساعد أعضاء الجسم على الراحة، فوظائفه كلها تتقلص وأي توتر موجود يختفي»

وفيما كان يتحدث، راح يحقن السائل، وعيون زيدكا تذوي.

قالت لها فيرونيكا «لا تقلقي، أنت طبيعية تماماً، بنفسه التي رويتها عن الملك..»

«لا تضيعي وقتك إنها لا تستطيع أن تسمعك الآن» المرأة على السرير، والتي كانت منذ دقائق مفعمة بالحيوية واليقظة، كانت تحدق بعينيها الآن في الفراغ البعيد، وكان هناك سائل يرغي من أحد جوانب فمها

«ما الذي فعلته؟» صرخت في الممرض

«عمي، فقط»

صارت فيرونيكا تنادي زيدكا، تصرخ، وتهدد بالذهاب إلى الشرطة، الصحافة، منظمات حقوق الإنسان

«اهدئي، قد تكونين في مستشفى مجانين، ولكن عليك أن تمتثلي لقوانين معينة»

رأت أن الرجل كان جاداً، وأنها كانت مذعورة لكن بما أنه ليس لديها ما ستفقده، فإنها استمرت في الصراخ

من حيث ما كانت، فإن زيدكا تستطيع أن ترى الجناح والأسرة، كلها فارغة ماعدا واحدا، كان جسدها مربوطاً إليه، وبقربه فتاة واقفة، تحدق بهلع، لم تدرك الفتاة أن المرأة التي علي السرير مازالت حية وأن كل أعضائها تعمل بشكل كامل، غير أن روحها تحلق، ملامسة السقف تقريباً، ومستكينة إلي شعور عميق بالسلام..

كانت زيدكا في رحلة أثيرية، شئ من عوامل الدهشة إثر تجريبها الأولى مع صدمة الأنسولين، لم تحدث أحداً عن ذلك، كانت هناك للشفاء من الاكتئاب فقط، وحالما تشعر بالتحسن، فربما تأمل في مغادرة المكان للأبد

إذا بدأت في إخبارهم أنها تغادر جسدها، سيظنون أنها أصبحت أكثر جنوناً من لحظة دخولها إلى فيليت. وعلى كل حال، حينما عادت إلى جسدها أخذت تقرأ حول موضوعين. صدمة الانسولين، وذلك الشعور الغريب بالسباحة في الفضاء.

لم يكن هناك الكثير حول المعالجة. إنها تستخدم منذ ١٩٣٠ لأول مرة، كان قد تم منعها تماماً في المستشفيات النفسية، بسبب إمكانية الإضرار الكلي بالمريض في خلال إحدى الجلسات العلاجية، زارت مكتب الدكتور إيجور في شكلها الأثيري، في اللحظة نفسها التي كان يناقش فيها الموضوع مع أحد ملاك المستشفى قال الدكتور إيجور «إنها جريمة، نعم لكنها رخيصة وسريعة» أجابه الرجل الآخر «على كل من يهتم بحقوق المجانين؟ لن يشكونا أحد»

ومع ذلك، فإن بعض الأطباء اعتبروها طريقة ناجحة في معالجة الاكتئاب سعت زيدكا واستعارت كل شئ كان قد كتب حول صدمة الانسولين، وخصوصاً التقارير العملية التي كتبها المرضى عن تجربتهم معه، القصة كانت مكررة رعب والمزيد من الرعب، لا أحد منهم جرب أي شئ قريب مما كانت تعيشه في تلك اللحظة

بدأت في البحث حول وجود الروح قرأت بعض الكتب حول غموض الروح، ثم في يوم ما، عثرت على مراجع واسعة كانت تصف بدقة ما تمر به: إنه «السفر الأثيري»، وعدد كبير من الناس قد جربه. البعض وصف ما شعر به، فيما الآخرون كانوا قد طوروا طرق الوصول إلى تلك الحالة إراديا. الآن، كانت تعرف تلك الطرق عن ظهر قلب وكانت تستخدمها ليلاً لتذهب حيثما شاءت.

تنوعت أوصاف تلك التجارب والرؤى، ولكنها كلها تحمل عناصر مشتركة، الصوت المزعج، الغريب، حيث يسبق انفصال الجسد عن الروح، متبوعاً بصدمة، فقدان وعي سريع، وبعد ذلك السلام والمتعة في الطفو في الهواء، مربوطا بالجسد بحبل سري فضي، حبل يستطيع الامتداد إلى ما لا نهاية، بالرغم من وجود أساطير (في الكتب طبعاً) تقول إن الشخص قد يموت لو سمح للحبل السري الفضي بالانقطاع.

غير أن تجربتها أتاحت لها أن تذهب حيثما تشاء عندما تريد والحبل الفضي لم ينقطع أبداً. ولكن، في العموم، كانت الكتب دقيقة جداً في تعليمها كيفية الحصول على المزيد من ذلك السفر الأثيري. لقد تعلمت على سبيل المثال، أنها عندما ترغب في الانتقال من مكان إلى آخر، فعليها أن تركز ذهنها على تخيل نفسها في الفضاء، متخيلة بدقة إلى أين تود الذهاب، وعلى خلاف المسارات التي ترحل فيها الطائرات – والتي تغادر من مكان معين وتطير المسافة الضرورية للوصول إلى مكان آخر – كانت الرحلة الأثيرية تتم من خلال أنفاق سرية. لقد تخيلت نفسك في مكان ما، وتدخلت النفق الصحيح بسرعة مذهلة، ثم ترى المكان الذي تريد.

استطاعت من خلال الكتب أن تفقد خوفها من الكائنات التي تسكن تلك الفضاءات. اليوم لم يكن هناك أي شخص آخر في الجناح، ولكن المرة الأولى التي

تركت فيها جسدها، كانت قد وجدت عدداً كبيراً من الناس يراقبونها، مستغربين من الدهشة على وجهها.

كان رد فعلها الأولى هو أن تفترض أن هؤلاء جميعاً موتى، أشباح تطارد المستشفى. ثم، وبمساعدة الكتب وتجربتها الشخصية، لاحظت أنه بالرغم من وجود بعض الأرواح المنفصلة عن أجسادها تتجول هناك، كان من بينهم أشخاص أحياء مثلها تماماً، إما أنهم طوروا تقنية للخروج من أجسادهم أو أنهم لم يكونوا مستوعبين لما قد حدث لهم لأنهم، كانوا في بعض أنحاء العالم الآخر في حالة نوم، نوم عميق، تجولت فيه أرواحهم بعيداً عنهم.

اليوم وهي تعرف أن هذه هي رحلتها الأثيرية الأخيرة عبر الأنسولين، لأنها زارت مكتب دكتور إيجور للتو وسمعته يقول إنه صار جاهزاً لإطلاق سراحها، قررت أن تبقى في فيديت، حيث لن تعود مرة أخرى، حتى عبر الروح. وأرادت أن تقول وداعاً.

كان هذا هو الجزء الصعب. حينما يكون في مصحة عقلية، يعتاد الشخص على الحرية الموجودة في عالم الجنون، ويتحول إلى مدمن لها. أنت لا تعود مضطراً للشعور بالمسئولية، أو الكفاح من أجل كسب عيشك اليومي، أو تضطر للتعامل مع الشئون المكررة الصغيرة في الحياة. تستطيع أن تقضي ساعات في النظر إلى لوحة، أو رسم دوائر فارغة. كل شيء مسموح لأنه، بعد كل شيء، الشخص مختل عقلياً.

وكما قد كانت هناك مناسبات استطاعت هي فيها أن تلاحظ، أن معظم المجانين عندما تحسنوا حالما دخلوا المستشفى، لم يكونوا مضطرين لإخفاء أعراض مرضهم، وقد وفر جو «العائلة» لهم قبول عصابيتهم وخللهم الخاص

في البداية سحرت زيدكا بڤيليت وفكرت في الانضمام إلى «الأخوية» عند شفائها. ولكنها فكرت في أنها لو كانت منطلقة، فإنه من الممكن أن تفعل كل ما تريده في الخارج، طالما استطاعت أن تتعامل مع التحديات اليومية للحياة. وكما قال شخص ما، كل ما عليك فعله هو إبقاء جنونك تحت السيطرة. تستطيع البكاء، القلق، الغضب مثل أي شخص آخر عادي، طالما تذكرت أنه، هناك في الأعلى، روحك كانت تقهقه وتسخر من كل تلك الأحوال الشائكة.

سريعاً ما ستعود إلى المنزل، مع أطفالها وزوجها، وهذا الجزء من حياتها كان له سحره أيضاً. بالطبع سيكون صعباً العثور على عمل، ففي مدينة صغيرة مثل لجوبيجانا تنتقل الأخبار بسرعة، ووجودها في ڤيليت أصبح معروفاً لكثير من الناس، لكن زوجها كان يكسب الكفاية لعائلته. وهي تستطيع أن تستخدم وقت فراغها لعمل تلك الرحلات الأثيرية، ولكن ليس تحت خطر تأثير الأنسولين.

كان هناك شيء واحد لم تود أن تجربه مرة أخرى، كان أحد العناصر المسئولة عن مشاعر البشر. انعدام السيروتونين يميت قدرة الشخص على التركيز في العمل، النوم، الأكل، والاستمتاع بمباهج الحياة. عندما ينعدم ذلك العنصر تماماً، يمر الشخص بحالة يأس، تشاؤم، إرهاق، عجز، قلق، ومصاعب في صنع القرارات، وينتهي إلى الغرق في كآبة دائمة، تقوده إما إلى اللامبالاة أو الانتحار.

بعض الأطباء المحافظين قالوا إن أي تغيير كبير في الحياة يمكن أن يفجر الاكتئاب، الانتقال إلى دولة أخرى، فقدان من نحب، الطلاق، ازدياد مطالب العمل أو العائلة. بعض الدراسات الحديثة، وبناء على عدد المرضى في الشتاء والصيف، أشارت إلى انعدام الضوء كأحد أسباب الاكتئاب.

في حالة زيدكا، على كل حال، كانت الأسباب أكثر بساطة مما يظنه أحد. رجل يختفي في ماضيها، أو بعبارة أخرى، في خيالها الذي نسجته حول رجل عرفته في الماضي البعيد.

كان شيئاً غبياً جداً: الغرق في الاكتئاب والجنون بسبب رجل لا تعرف حتى مجريات حياته ووجوده في تلك اللحظة، ولكنه شخص وقعت في غرامه بكامله خلال صدفة. ومثل أي فتاة شابة، كانت زيدكا بحاجة إلى أن تجرب الحب المستحيل.

ولكن، على خلاف صديقاتها، واللواتي كن يحلمن فقط بالحب المستحيل، قررت زيدكا خوض المزيد، لقد حاولت أن تحقق حلمها. لقد كان يعيش على الجانب الآخر من المحيط وقد باعت من كل شيء للذهاب إليه. كان متزوجاً، ولكنها قبلت بدورها كعشيقة، وخططت سرية لتحوله إلى زوجها. كان بالكاد يملك وقتاً كافياً لنفسه، لكنها قنعت بقضاء الأيام والليالي في غرفة فندق رخيصة، انتظاراً لمكالماته النادرة.

ورغم إصرارها على تحمل كل شيء باسم الحب، لم تنجح العلاقة، لم يقل شيئاً مباشرة، ولكنها في ذات يوم، لاحظت أنها لم تعد مرحباً بها فعادت إلى سلوفينيا.

قضت بعض الشهور تكاد تأكل متذكرة كل لحظة قضياها معاً، مستعيدة مرات كثيرة تلك اللحظات من المتعة والمرح في السرير، محاولة إصلاح شيء يمكنها من الإيمان بمستقبل علاقتهما. أحس أصدقاؤها بالقلق من الحال التي وصلت إليها، ولكن شيئاً ما في قلب زيدكا قال لها إنها مرحلة عابرة، نمو شخصي مدفوع الثمن، وكانت تدفع بدون تذمر. ذات صباح استيقظت مفعمة بالرغبة في الحياة، لأول مرة منذ دهور، أكلت بشهية ثم خرجت للبحث عن عمل

لم تعثر على عمل فقط لكنها حظيت باهتمام شاب وسيم، ومثقف تطارده النساء الأخريات ، وبعد عام تزوجته

أثارت الحسد و المباركة من صديقاتها . مضى الإثنان للعيش في بيت مريح، له حديقة تطل على النهر الذي يقسم لجوبلجانا ، صار لديهما أطفال وكانوا يقضون صيفيتهم في النمسا

عندما قررت سوفينيا الانفصال من يوغسلافيا ، استدعوه للجيش. كانت زيدكا من الصرب – وهذا هو العدو – وبدت حياته على وشك الانهيار

وفي الأيام العشرة العصيبة التي تلت، أثناء استعداد القوات للمواجهة، حيث لم يعرف أحد ما الذي سيعنيه إعلان الاستقلال وكم من الدم سوف يسفك بسببه فإن زيدكا أحست بمدى حبها له. قضت كل الوقت في الصلاة لله، و الذي كان إلى ذلك الحين يبدو بعيداً إلا أنه الآن كان أملها الوحيد. لقد قدمت النذور للملائكة و القديسين ليعود إليها زوجها

وهكذا قد كان. لقد عاد، وتمكن الأطفال من الذهاب إلى المدارس حيث تدرس اللغة السلوفينية، وتحول شبح الحرب إلى جارتهم جمهورية كرواتيا

لقد مضت السنون. وتحولت حرب يوغسلافيا مع كرواتيا إلى البوسنة، وبدأت التقارير في حصر المذابح التي ارتكبها الصرب. فكرت زيدكا أنه من الظلم أن تعمم الجريمة على شعبها بكامله لعبث مجموعة قليلة من المختلين. أصبح لحياتها معنى لم تتوقعه من قبل. لقد دافعت عن ناسها بكبرياء وشجاعة بالكتابة في الصحف، والظهور على شاشات التلفزيون وتنظيم مؤتمرات. كل ذلك لم يثمر عن شيء، ومازال الأجانب يعتقدون أن كل الصرب مسئولون عن تلك المذابح لكن زيدكا كانت تعرف أنها قامت بواجبها، وأنها لن تستطيع التخلي عن أخوتها وأخواتها في مثل تلك المحنة، تستطيع الاعتماد على زوجها

السلوفيني، وأطفالها والناس الذين لم يقعوا ضحية لآلة الدعاية الإعلامية في كلا الجانبين

ذات مساء، مشت على مقربة من تمثال بريزرن، الشاعر السلوفيني العظيم، وأخذت تفكر في حياته. عندما كان في الرابعة والثلاثين من عمره، ذهب إلى كنيسة ورأى الفتاة جوليا بريمس، ووقع في حبها بجنون، ومثل الفرسان القدماء، صار يكتب لها أشعاراً على أمل أن يتزوجها ذات يوم

ثم اتضح أن جوليا كانت ابنة إحدى العائلات الأرستقراطية ، وباستثناء رؤيتها داخل الكنيسة، لم يستطع بريزرن الاقتراب منها، غير أن ذلك اللقاء أوحى له بأفضل قصائده وصنع أسطورة وهالة حول اسمه. في الميدان الصغير في لجوبلجانا، يحدق تمثال الشاعر على شيء ما . إذا تابعت تحديقه، على الطرف الآخر من الميدان، سترى وجه امرأة منحوتاً على صخرة أحد البيوت، حيث عاشت جوليا. وحتى بعد الموت، مازال بريزرن يحدق في حبه المستحيل، للأبد

وماذا لو حارب من أجلها قليلاً؟

بدأ قلب زيدكا يتسارع في خفقاته، وربما كان ذلك علامة سيئة ربما حدثت حادثة لأحد أطفالها

سرعت إلى البيت لتجدهم جميعا يشاهدون التليفزيون، ويأكلون الفشار. غير أن الحزن، لم يمر . استلقت زيدكا، ونامت لمدة اثنتي عشرة ساعة، وحينما استيقظت لم تجد الرغبة في النهوض، قصة بريزرن أعادت إليها ذكرى حبها الأول، الذي لم يتصل بها مرة أخرى

وسألت زيدكا نفسها، هل حاربت من أجله بما فيه الكفاية؟ هل كان عليَّ أن أتقبل دوري كعشيقة، بدلاً من الإصرار على شيء توقعتها منه؟ هل حاربت من أجل حبي الأول بنفس الطاقة التي حاربت بها من أجل شعبي؟

أقنعت زيدكا نفسها بأنها قد فعلت ولكن الحزن لم يمض بعيداً وما كان يبدو لها أنه لجنة البيت بقرب النهر الزوج الذي تحب، الأطفال الذين يكلون الفشار أمام التليفزيون كل ذلك بدأ يتحول الى جحيم. اليوم، بعد رحلات كثيرة كثيرة، ولقاءات عديدة مع كائنات متطورة، تدرك زيدكا أن كل ذلك كان هراء، لقد استخدمت حبها المستحيل كعذر، حجة لقطع الخيوط مع الحياة التي كانت تحيها، والتي كانت بعيدة جداً عن الحياة التي توقعتها لنفسها

ولكن منذ اثني عشر شهراً مضت، كانت الحال مختلفة

بدأت تبحث بجنون عن حبيبها البعيد، صرفت ثروات على مكالمات دولية، ولكنه لم يعد يعيش في المدينة نفسها، وكان من المستحيل العثور عليه، بعثت برسائل في البريد السريع، وكانت دائما تعاد إليها.. اتصلت بكل أصدقائه ولكن لم يعرف أحد ما الذي حدث له

لم يدرك زوجها ما كان يحدث، ولما أغضبها، كان عليه أن يشك في شيء ما، أو يفتعل فضيحة، أو يشتكي، وأن يهدد بطردها الى الشارع وباتت موقنة أن عمال الهاتف، رجل البريد، كل صديقاتها قد رشوه كي يتظاهر باللامبالاة. باعت المجوهرات التي عصها اياها في زواجهم واشترت تذكرة طيران للجانب الآخر من المحيط. حتى استطاع شخص ما أن يقنعها أن أمريكا كانت مكانا شاسعاً «ولا فائدة من الذهاب الى هناك إذا لم تعرفي أين ستبحثين عنه»

ذات مساء استلقت متعبة بالحب كما لم تتعذب من قبل، ولا حتى حينما عادت في ذلك اليوم المشئوم الى الحياة اليومية في لجوبلجانا، قضت الليلة واليومين التاليين في غرفتها، في اليوم الثالث اتصل زوجها اللطيف جداً، والمهتم بها جداً بالطبيب، هل لم يعرف بالفعل ماذا حاولت زيدكا أن تفعل للاتصال بالرجل الآخر، ارتكاب الزنا وتبديل حياتها كزوجة محترمة بدور العشيقة السرية لرجل آخر، أن تترك لجوبلجانا، وطنها، وبيتها، وأطفالها إلى الأبد؟

وصل الطبيب، صارت هيستيرية وأقفلت الباب، لم تفتحه إلا عندما غادر الطبيب. بعد أسبوع، لم تجد لديها القدرة الكافية والإرادة للنهوض من السرير وصارت تستخدم السرير كمرحاض لم تستطع التفكير من جديد، وصار رأسها يدور في ذكريات مبتسرة عن ذلك الرجل، كانت موقنة أنه هو أيضا يبحث عنها من دون نجاح

راح زوجها المستفز بكرمه يغير لها الشراشف، ويمشط شعرها، ويؤكد لها أن كل شيء سيكون على ما يرام فيما بعد. لم يعد الأطفال يأتون إلى غرفتها منذ صفعت أحدهم على وجهه دون سبب، ثم ركعت، وقبلت قدمه، طالبة الغفران ممزقة قميص نومها الى قطع حتى تبدي ندمها وحزنها.

بعد أسبوع آخر، بعد أن لفظت الأكل المقدم إليها، صارت تدخل وتخرج من الحقيقة عدة مرات، وقضت ليالي طويلة أرقة ونهارات بكاملها نائمة جاء رجلان إلى غرفتها دون أن يطرقا الباب.

شدها أحدهما إلى الأرض فيما أعطاها الآخر حقنة، واستيقظت في فيليت

سمعت الطبيب يقول لزوجها «اكتئاب يحدث احيانا لأسباب غريبة، مثل فقدان عنصر كيميائي سيروتونين، في الجسم»

من سقف الجناح، راقبت زيدكا الممرضة وهي تقترب، والإبرة في يدها . كانت الفتاة مازالت واقفة هناك، محاولة التحدث مع جسدها مرتعبة من نظرتها الخاوية، ولبعض اللحظات، فكرت زيدكا في امكانية اخبارها عن كل شيء قد حدث، لكنها غيرت رأيها فالناس لا يتعلمون اي شيء يخبرهم به الآخرون، عليهم ان يكتشفوا بأنفسهم .

غرزت المرضة الإبرة في ذراع زيدكا وحقنتها بالأنسولين وكأنها ممسوكة بذراع ضخمة ، غادرت روحها السقف وأسرعت في داخل نفق مظلم لتعود الى جسدها.

«أهلا فيرونيكا»

بدت الفتاة مذعورة

هل أنت بخير؟

« نعم.. أنا بخير . لحسن الحظ نجحت في النجاة من هذه المعالجة الخطيرة، لكنني لن أعيدها».

« كيف تعرفين ذلك؟ هنا لا أحد يحترم رغبات المريض» .

زيدكا عرفت لانها خلال رحلتها الأثيرية كانت قد ذهبت الى مكتب د. ايجور.

«لا استطيع ان اشرح ذلك الآن لكنني فقط اعرف هل تتذكرين سؤالي الأول لك ؟ » .

« نعم ، لقد سألتني إذا كنت اعرف ما الذي يعنيه الجنون؟»

«بالضبط.. هذه المرة لن اخبرك أن الجنون هو عدم القدرة على توصيل أفكارك . انه يشبه كونك في بلد غريب، قادرة على الرؤية وفهم ما يدور حولك، ولكنك عاجزة عن شرح ما تودين معرفته أو عن طلب المساعدة. لانك لا تعرفين اللغة التي يتحدثونها هناك».

«كلنا نمر بمثل هذا الشعور»..

«وكلنا بطريقة أو أخرى، مجانين»..

خارج النافذة المسيجة، بدت السماء كثيفة بالنجوم والقمر في أول منازله، ساطعاً فوق الجبال . للشعراء البدر، لقد كتبوا آلاف القصائد حول ذلك.. لكنه كان الهلاك لفيرونيكا التي فضلت ذلك لأنه مازال يكتمل، ويتسع، ليملأ سطحه كله بالنور قبل نهايته الحتمية.

أحست بالرغبة فى الذهاب إلى البيانو فى القاعة، والاحتفال بتلك الليلة بعزف سوناتا تعلمتها فى المدرسة . عندما نظرت إلى السماء، اجتاحها شعور لا يمكن وصفه بالعافية، وكأنما الطبيعة اللامتناهية للكون كانت قد كشفت لها خلودها، لكن كان يفصلها عن رغبتها تلك باب فولاذى وامرأة تقرأ كتاباً لا ينتهى، بالإضافة إلى أنه لا أحد يعزف البيانو في مثل تلك الساعة من الليل، انها ستوقظ الحي بأكمله.

ضحكت فيرونيكا. كان «الحي» هو اجنحة تزدحم بالمجانين، وهؤلاء المجانين، بالمقابل ، كانوا يزدحمون بالمخدر الذى يرغمهم على النوم.

وعلى الرغم من ذلك فإن شعورها بالتفانى استمر . قامت وسارت نحو سرير زيدكا، غير انها كانت غارقة فى النوم، ربما تتشافى من تلك التجربة المرعبة التى مرت بها.

«عودى إلى السرير» قالت الممرضة.. «البنات الطيبات يجب أن يحلمن بالملائكة أو العشاق».

«لا تعاملينى مثل طفلة.. أنا لست مجنونة مدجنة تخاف من كل شيء، أنا غضوبة، هيستيرية، لا أحترم حتي حياتي، أو حياة الآخرين علي كل حال، اليوم أنا في حالة سيئة . لقد نظرت الي القمر واحتاج أن أتحدث إلي أحد ما..»

نظرت الممرضة إليها، مستغربة رد فعلها..

سألت فيرونيكا «هل أنت خائفة مني؟» «بعد يومين سنكون في عداد الموتى، ماذا لدي لأفقده؟».

«لماذا لا تذهبين في نزهة، يا عزيزتي، لتدعيني أكمل كتابي؟».

«لأن هذا سجن ولأن هناك حارسا للسجن يتظاهر بقراءة كتب، ليجعل الآخرين يفكرون في أنها امرأة ذكية. الواقع أنه بالرغم من ذلك هي تراقب كل حركة في الجناح، وتحرس مفاتيح الباب وكأنها كنز. مما لاشك فيه أن ذلك ضمن القوانين وعليها أن تطيع ذلك، لأنه بهذه الطريقة تتظاهر بأن لديها سلطة لا تملكها في حياتها اليومية، مع زوجها وأطفالها».

راحت فيرونيكا ترتجف، دون أن تدري تماما لماذا. «مفاتيح؟» قالت الممرضة «الباب دائما مفتوح. أنت لا تعتقدين أنني سأبقى هناك وراء باب مغلق مع مجموعة من المجانين، هل تعتقدين ذلك؟».

ما الذي تعنيه بأن الباب مفتوح؟ منذ عدة أيام أردت الخروج من هنا، وهذه المرأة ذهبت حتى معي إلى الحمام، ما الذي تتحدث عنه؟

قالت الممرضة «لا تأخذيني بجدية، الواقع أننا لسنا بحاجة إلى الكثير من الأمن هنا، نظرا للمهدئات التي تعطى للمرضى. أنت ترتعشين، هل أنت بردانة؟».

«لا أعرف. أظن أن ذلك له صلة بقلبي».

«إذا أردت تستطيعين الذهاب للتنزه مشيا».

«ما أوده، بالفعل، هو أن أعزف على البيانو».

«إن القاعة منفصلة جدا، لذلك لن يزعج عزفك على البيانو أي شخص. افعلي ما تشائين».

تحول ارتجاف فيرونيكا إلى نشيج هادئ مكبوت، ركعت ووضعت رأسها في حضن المرأة وراحت تبكي.

وضعت الممرضة الكتاب جانبا، وربتت على شعر فيرونيكا، سامحة لتلك الموجة من الحزن والدموع بالسير في مجراها الطبيعي.

جلستا هناك حوالي نصف ساعة، واحدة تبكي والأخرى تواسيها، بالرغم من عدم معرفة الاثنتين لماذا.

توقف النشيج أخيراً. ساعدتها الممرضة على النهوض، أخذتها من ذراعها وقادتها إلى الباب.

«لدي ابنة في مثل عمرك.. عندما دخلت في البداية، محاطة بالأنابيب والمغذيات، بقيت أتساءل لماذا ترغب فتاة جميلة، حياتها كلها أمامها، في قتل نفسها. ثم انتشرت كل أنواع الإشاعات حول الرسالة التي خلفتها وراءك، والتي لم أؤمن بأنها السبب الحقيقي. وكيف أنه لم يعد أمامك الكثير من الوقت للحياة بسبب مشاكل معقدة حدثت لقلبك.

لم أستطع التخلص من خيال ابنتي في عقلي: ماذا لو قررت شيئا مماثلا؟ لماذا يحاول بعض الناس الاتجاه عكس المنحى الطبيعي للأشياء، ألا وهو الكفاح للبقاء بالرغم من أي شيء يحدث؟»

قالت فيرونيكا «لهذا السبب أنا أنتحب، حينما بلعت الحبوب، أردت أن أقتل شخصاً أكرهه. لم أعلم أن فيرونيكا أخرى توجد داخلي، فيرونيكا يمكنني أن أحبها..

«ما الذي يجعل شخصا يكره نفسه؟».

«الجبن ربما.. أو الخوف الدائم من أن نكون مخطئين.. أو عدم عمل ما يتوقعه

الآخرون منك .. منذ دقائق قليلة كنت أشعر بالسعادة ، نسيت أنني خاضعة لحكم بالموت، ثم تذكرت الحالة التي انا فيها فخفت»

فتحت الممرضة الباب، وخرجت فيرونيكا

كيف ستجرءت ان تسألني عن ذلك؟ ماذا تريد كي تفهم لماذا بكيت؟ ألا تدرك أنني شخص طبيعي جداً، أملك نفس الرغبات والمخاوف الموجودة لدى الآخرين، وأن سؤالاً مثل ذلك، الآن بعد ان تأخر الأمر، يمكن أن يقذف بي إلى الحيرة؟

وفي خلال مشيها في الممر المضاء بنفس الأنوار الباهتة للجناح، أدركت فيرونيكا أن الوقت صار متأخرا وأنها لم تعد قادرة على السيطرة على مخاوفها

«يجب أن أملك زمام نفسي، أنا ذلك النوع من الأشخاص الذي يلتزم بالقرار الذي يصنعه، والذي يستطيع دائماً الرؤية من خلال الأشياء؟» .

كان صحيحا أنها رأت في خلال حياتها الكثير من الأشياء وتحملت النتائج التي ترتبت عليها، ولكنها أشياء لم تكن مهمة، مثل تأجيل جدل كان من الممكن حسمه باعتذار، أو عدم الاتصال برجل كانت واقعة في غرامه، لأنها ببساطة ظنت ان العلاقة لن تقود الى اى مكان، كانت متعالية على الأشياء الصغيرة، وكأنها تحاول ان تثبت لنفسها، كم هي قوية وغير مكترثة، في حين كانت في الواقع مجرد امرأة هشة، لم تكن أبداً في يوم ما طالبة استثنائية، ولم تتميز في الرياضة في المدرسة، ولم تستطع المحافظة على سلام البيت

لقد تغلبت على عيوبها الصغيرة، لكن لكي تهزم في شئون ذات أهمية جوهرية لقد نجحت في ان تبدو مستقلة ، تماما فيما كانت في الحقيقة بحاجة ماسة إلى الصحبة فعندما تدخل غرفة ما، كان الجميع يلتفت إليها، لكنها غالبا ما كانت تنهي الليلة وحيدة، في الدير، تشاهد التليفزيون الذي لم تعبأ حتى

بتحسين برمجته، أعطت كل أصدقائها الانطباع بأنها امرأة تحسد ، وأهدرت معظم طاقتها محاولة التصرف بما يلائم الصورة التي صنعتها لنفسها

ولهذا السبب، لم تكن لديها الطاقة الكافية لأن تكون نفسها، مثل كل شخص آخر في العالم، تحتاج الى الآخرين لكي تكون سعيدة ، ولكن الآخرين كانوا في منتهى الصعوبة .. ردود فعلهم غير متوقعة، يحيطون أنفسهم بجدران دفاعية لقد تصرفوا تماماً مثلها، متظاهرين بأنهم لا يبالون بشيء، وحين يظهر شخص اكثر تفتح للحياة، كانوا إما أن يرفضوا منذ البداية أو يشعروا بالمعاناة وبأنهم أقل قيمة وأصالة

كانت ربما قد أبهرت كثيرا من الناس بقوتها وإصرارها، لكن أين تركها ذلك؟ وحيدة تماماً. في فيليت على حافة الموت

خرج ندم فيرونيكا لمحاولة الانتحار إلى السطح من جديد، وبقوة دفعت به جانبا مرة اخرى .. الآن صارت تحس بشيء لم تسمح لنفسها به من قبل الكراهية

الكراهية ، شيء صلب مثل الجدران، البيانو أو الممرضات، إنها تكاد تلمس تلك الطاقة المدمرة التي تنز من جسدها، لقد أباحت للشعور أن يتدفق، بغض النظر عن كونه سيئاً أو جيدا، لقد ملت من السيطرة على الذات، من الأقنعة، ومن السلوك الحسن ، أرادت فيرونيكا ان تقضي ايامها الأخيرة في الحياة بالسلوك الذي توده

بدأت بصفع وجه الرجل، ثم الانهيار بالبكاء امام الممرضة، ورفض ان تكون لطيفة ومجاملة بالحديث مع الآخرين في وقت ترغب فيه بالعزلة ، والآن أصبحت حرة بما فيه الكفاية لكي تشعر بالكراهية والمقت، غير أنها واعية بما فيه الكفاية

كي لا تحطم كل شيء حولها وتخاطر بقضاء ما تبقى لها من الحياة تحت تأثير المهدئات في سرير في المصحة

في تلك اللحظة، بدأت تكره كل شيء، نفسها، العالم، الكرسي الذي أمامها المدفأة المكسورة في أحد الممرات، الأشخاص الكاملين المجرمين. لقد كانت في مصحة عقلية وهكذا تستطيع أن تسمح لنفسها بمشاعر عادة ما يخفيها الناس عن أنفسهم، لأننا جميعا قد ربينا على المحبة، والقبول والتحايل على الأشياء، وتجنب المواجهات

لقد كرهت فيرونيكا كل شيء، ولكنها كرهت أكثر الطريقة التي عاشت بها حياتها، وعدم اهتمامها باكتشاف مئات أخريات من فيرونيكا يداخلها، واللواتي كن مثيرات، مجنونات، فضوليات، تملأهن الشجاعة والجرأة

ثم بدأت تشعر بالكراهية تسري فيها تجاه أكثر شخص أحبته في الوجود أمها. زوجة رائعة، تعمل طوال النهار وتغسل الأطباق في الليل، مضحيةً بحياتها حتى تتلقى ابنتها أفضل تعليم، وتدرس عزف البيانو والكمان، وتلبس كالأميرات، ويكون لديها آخر صيحات الجينز، فيما كانت هي تصلح نفس الثوب الرث الذي ظلت ترتديه طوال السنوات الماضية

« كيف أستطيع أن أكره شخصاً لم يمنحني سوى الحب؟ » فكرت فيرونيكا، محتارة في مشاعرها. لكن ذلك كان متأخراً، لقد أطلقت كراهيتها، وفتحت الباب لجحيمها الشخصي. كرهت الحب الذي منح لها، لأنه لم يطلب منها أي مقابل، وذلك كان مستنكراً، غير حقيقي، وضد قوانين الطبيعة

الحب الذي بلا مقابل أثقلها بالشعور بالذنب، وبالرغبة في إرضاء رغبات الآخر حتى لو اضطرت إلى التنازل عن أحلامها لنفسها. كان حباً حاول لسنوات أن يخفي عنها المصاعب والفساد الموجود في العالم، متجاهلاً حقيقة، أنها يوماً ما سوف تضطر لمواجهة ذلك دون أي سلاح

وماذا عن أبيها؟ إنها تكره أباها أيضاً، لأنه على عكس أمها، كان يعرف كيف يعيش، يصحبها إلى البارات والمسارح، ويستمتعان معا، وعندما كان شاباً، أحبته في الخفاء، لا كما يحب المرء أباه، ولكن كرجل. كرهته لأنه كان دائماً جذاباً ومنفتحاً تجاه الآخرين ماعدا أمها، الوحيدة التي كانت تستحق تلك المعاملة

لقد كرهت كل شيء. المكتبة بأطنانها من الكتب المزدحمة بشروحات حول الحياة، المدرسة التي أجبرتها على قضاء أمسيات كاملة لدراسة الجبر، بالرغم من أنها لم تعرف شخصاً واحداً، باستثناء المعلمين والرياضيين، يحتاجه إلى الجبر حتى يكون سعيداً. لماذا يرغمونهم على تعلم دروس كثيرة في الجبر أو الهندسة أو أي من تلك المواد غير النافعة؟

دفعت فيرونيكا باب القاعة، واتجهت إلى البيانو، فتحت الغطاء، واستجمعت كل قواها، لتضرب على المفاتيح. ترددت نغمات مجنونة، صاخبة في القاعة الخاوية، ارتطمت بالجدران وعادت إليها في ذبذبات مزعجة بدت كأنها تمزق روحها، نعم لقد كان ذلك بورتريهاً صادقاً لروحها في تلك اللحظة

خبطت على المفاتيح مرة، تلو أخرى وأحاطت بها تلك النوَت المشوشة

« أنا مجنونة. ويحق لي أن أفعل ذلك. أستطيع أن أكره أن أجلد مفاتيح البيانو. منذ متى يعرف المجانين كيف يعزفون النوَت الموسيقية بشكل صحيح؟ »

صارت تخبط البيانو مرة، اثنتين، عشر، عشرين مرة، وفي كل مرة تفعل ذلك تتقلص كراهيتها، حتى اختفت تماماً

ثم فجأة ، عمها سلام عميق ، ونظرت خارجاً إلى السماء ونجومها والقمر الصديد ، المفضل لديها ، يملأ القاعة التي كانت فيها بنور ناعم . وعاد إليها الشعور باللانهائية والأبدية يمشيان معاً ، عليك البحث عن أحدهم مفقد ، على سبيل المثال ، الكون غير المحدود ، لكي تعثر على الآخر . زمن لاينتهي أبداً ، ولا يمر أبداً ، يبقى في الحاضر ، حيث ترقد كل أسرار الحياة . وفيما كانت تسير من الصباح إلى القاعة أحست بكراهية خالصة كانت قد غادرت قلبها الآن . لقد سمحت ، أخيراً للمشاعر السلبية أن تخرج إلى السطح ، مشاعر ظلت مكبوتة لسنوات في روحها . لقد أحست بها بالفعل ، ولم تعد ضرورية ، تستطيع أن تغادرها الآن .

جلست في الصمت ، مستمتعة بلحظتها ، سامحة للحب أن يملأ المكان الفارغ الذي خلفه وراءه الكره . وعندما أحست أن اللحظة حانت ، التفتت إلى القمر وعزفت له سوناتا تحية ، مدركة أن القمر يستمع إليها وأنه يشعر بالفخر ، وأن ذلك سوف يثير غيرة النجوم مما عزفت من أجل النجوم ، والحديقة ، والجبال التي لا تستطيع أن تراها في الظلام ، كانت تعرف أنها هناك .

وفيما هي تعزف الموسيقى للجبال ، ظهر مجنون آخر ، إدوارد الفصامي غير القابل للشفاء . لم تخف من حضوره ، بل ابتسمت ، ولدهشتها ، ابتسم هو أيضاً .

فالموسيقى تستطيع اختراق عالمه البعيد ... لأبعد من القمر نفسه ، الموسيقى تحقق المعجزات

« علي أن أشتري ميدالية مفاتيح جديدة » ، فكر دكتور إيجون ، وهو يفتح الباب إلى غرفة الاستشارة الصغيرة في فوليت . تساقطت القديمة إلى قطع ووقعت على الأرض ، قطعة الزينة الخاصة بها ، للتو .

انحنى الدكتور إيجور والتقطها . ماذا عليه أن يفعل بهذه القطعة التي تحمل شعار ليوبليانا ؟ ربما عليه أن يرميها ، لكنه يستطيع إصلاحها وعمل غطاء جلدي جديد لها ، أو أن يعطيها إلى ابن أخيه كي يلعب بها . كلا الخيارين كان غير منطقيين . الميدالية غير مكلفة وابن أخيه لن يكون مهتماً بهذه القطع ، إنه يقضي كل وقته في مشاهدة التلفزيون ، أو اللعب بالألعاب الإلكترونية المستوردة من إيطاليا . دكتور إيجور ، مع ذلك ، لم يستطع أن يرميها ، لذلك وضعها في جيبه ، سيقرر ما الذي يفعله بها فيما بعد .

لهذا السبب كان هو مدير المستشفى ، وليس مريضاً فيه ، لأنه يفكر كثيراً قبل صنع أي قرار .

أضاء النور ، فيما كان الشتاء يهل ، كان الفجر يتأخر . الانتقال من المنزل ، الطلاق ، وغياب النور كانت هي العوامل الأساسية لزيادة عدد الحالات الاكتئابية . دكتور إيجور كان يأمل أن قدوم الربيع مبكراً سوف يحل نصف مشاكله .

نظر في مفكرة مواعيده لهذا اليوم . كان عليه أن يجد طريقة لمنع إدوارد من الموت جوعاً ، كانت الشيزوفرينيا تجعله غير متوقع ، والآن قد توقف عن الأكل . دكتور إيجور كان قد أعطى تعليمات بإعطائه مصل المغذي ، لكنه لن يستطيع الاستمرار في ذلك إلى الأبد . كان إدوارد شاباً قوياً في الثامنة والعشرين من العمر ، ولكن بالرغم من المغذي ، كان سيصبح هزيلاً مثل الهيكل العظمي

ما الذي سيفعله أبو إدوارد ؟ لقد كان أحد الشباب السوفيتي المشاهير كسفراء ، كان أحد المفتشين خلف المحاورات الدقيقة مع يوغسلافيا في بداية التسعينات . وهو ، رغم كل شيء ، استطاع أن يعمل لسنوات لحكومة بلغراد ، ناجياً من الذين اتهموه بالتعامل مع العدو ، وهو مازال عضواً في السلك الدبلوماسي ، غير أنه هذه المرة ، يمثل دولة مختلفة . لقد كان رجلاً قوياً صاحب نفوذ ، يهابه الجميع

دكتور إيجور ، أحس لوهلة بالقلق ، تماماً مثلما كان قلقاً منذ برهة حول قطعة الميدالية ، غير أنه سرعان ما تخلى عن تلك الأفكار فيما يتعلق بالسفير ، لم يكن مهماً له إذا بدا ابنه بصحة جيدة أم غير ذلك ، لم تكن لديه النية في اصطحابه معه في مهام رسمية أو إلى الأماكن المختلفة في العالم حيث كان يذهب كممثل للحكومة . كان إدوارد في فيليت ، وهناك سوف يبقى للأبد ، أو على الأقل طوال فترة كسب والده مرتبه الكبير .

دكتور إيجور قرر أن يوقف المصل المغذي ، وأن يسمح لإدوارد بالمزاح قليلاً ، حتى يشعر هو نفسه بالرغبة في الأكل . وإذا ساءت الحالة ، فسيكتب تقريراً ويحمل المسئولية لمجلس الأطباء الذين قبلوه في فيليت « أفضل طريقة لتحاشي المشاكل هي أن تشرك الآخرين في المسئولية » ، كان أبوه قد علمه ذلك . لقد كان طبيباً هو أيضاً ، وبالرغم من أن عدداً كبيراً من الناس ماتوا بين يديه ، لم يواجه أية مشكلات مع السلطات

حين نفذ دكتور إيجور إعطاء الأوامر بإيقاف معالجة إدوارد ، انتقل إلى البند الثاني . بناء على التقرير ، فإن زيدكا ميندال قد أنهت دورة العلاج ويمكن لها المغادرة . دكتور إيجور أراد أن يراها بنفسه . لم يكن هناك شيء يخيف الأطباء

مثل مواجهة شكاوى أهالي المرضى الذين كانوا في فيليت ، حيث إنه من النادر للمريض أن يتأقلم بنجاح مع الحياة الطبيعية بعد فترة كان قد قضاها في المستشفى العقلي

لم تكن غلطة المستشفى ، أو أي من المستشفيات المنتشرة في العالم ، كانت مشكلة إعادة التأقلم هي نفسها في كل مكان ، وكما أن السجن لا يُصلح السجين ، لكنه يعلمهم أن يرتكبوا المزيد من الجرائم ، فكذلك المستشفيات ، إنها تُعوِّد المرضى على عالم غير حقيقي ، حيث كل شيء مباح وحيث لا يتحمل أحد مسئولية أعماله

كان هناك مخرج واحد فقط : أن يكتشف علاج للجنون . وقد انشغل إيجور قلباً وروحاً في ذلك ، مطوراً أطروحة ستصنع ثورة في عالم الأطباء النفسيين في المستشفيات العقلية . يعيش المرضى المؤقتين مع مرضى غير قابلين للشفاء وهذا يبدأ تحلل اجتماعي ، ولدى حين يبدأ ، كان من المستحيل إيقافه . ستعود زيدكا ميندال إلى المستشفى مع الوقت ، هذه المرة بإرادتها ، شاكية من عدم وجود مهتمين بها ، لمجرد أن تبقى قريبة من أناس يبدو أنهم يفهمونها بشكل أفضل من البشر في الخارج . أما إذا استطاع أن يحدد طريقة البحث الدقيق حول الفيتيرول ، السم الذي يعتقد دكتور إيجور أنه المسبب للجنون ، فسيصعد اسمه إلى التاريخ ، وسيعرف الناس أخيراً أين هي سلوفينيا . هذا الأسبوع ، جاءته فرصة من السماء في شكل محاولة انتحار ، ولم يكن ليفقد تلك الفرصة مقابل كل أموال العالم

كان دكتور إيجور سعيداً ، وعلى الرغم من أنه كان مضطراً لأسباب اقتصادية إلى قبول معالجات ، مثل صدمة الأنسولين مثلاً ، التي تم تحريمها منذ

[illegible]

[illegible]

تحير دكتور إيجور فيما إذا كان عليه أن يخبرها بالحقيقة ليجنبها أية مفاجآت غير سارة – فمع كل شيء هو نفسه لديه ابنة لها نفس الاسم – غير أنه قرر أنه قرر ألا يقول شيئاً .

«لا نعرف» ، لقد كتب «نحتاج إلى أسبوع آخر»

«لا أفهم لماذا فعلت فيرونيكا ذلك» قالت المرأة وهي تبكي . «كنا دائما أبوين محبين لها ، ضحينا بكل شيء من أجلها لكي نمنحها أفضل ما يمكن في تنشئتها وبالرغم من أن زوجي وأنا كانت لدينا مشاكل ، فإننا حافظنا على وحدة العائلة ، لنضرب قدوة لها . إن لديها عملاً جيداً ، وهي جميلة ، ومع ذلك»

قال د. إيجور «ومع ذلك حاولت أن تقتل نفسها . ليس هناك سبب معين للدهشة ، هذا هو الحال . لا يعرف الناس كيف يتعاملون مع السعادة . إذا أردت سأريك بعض الإحصاءات في كندا» .

«كندا» ؟

بدت المرأة مذهولة . ورأى د. إيجور أنه استطاع أن يقطع أفكارها فمضى يقول : «أنظري ، لم تأتي إلى هنا لتعرفي حال ابنتك ، ولكن لكي تعتذري عن محاولتها ارتكاب الانتحار . كم هو عمرها» ؟

«أربعة وعشرون»

«إذن ، هي ناضجة ، وامرأة مجربة تعرف ما تريد وقادرة تماماً على صنع خياراتها . ما علاقة ذلك بزواجك أو التضحيات التي قدمتها لها مع زوجك ؟ منذ متى وهي تعيش مستقلة» ؟

«ستة أعوام»

«أترين ؟ إنها مستقلة بشكل أساسي ، لكن بسبب ما قاله طبيب نمساوي معين – دكتور سيجموند فرويد أنا متأكد أنك سمعت به – وكتبه حول العلاقات

غير الصحية بين الأبوين والأطفال ، فإن الناس ما زالوا يلومون أنفسهم على كل شيء . هل تتخيلين أن الهنود يؤمنون أن ابنهم إذا تحول إلى مجرم فإن هذا يعني أنه ضحية لوالديه وتربيتهما له ؟ قولي لي! »

أجابت المرأة ، والتي لم تستطع التغلب على حيرتها من تصرفات الطبيب ربما كان متأثراً بمرضاه «ليست لدي أدنى فكرة»

قال د. إيجور «حسناً ، أنا سأخبرك . الهنود يعتقدون أن المجرم مذنب ، ليس المجتمع ، ولا أبواه ، ولا جدوده . هل يرتكب اليابانيون الانتحار لأن أحد أبنائهم قرر تعاطي المخدرات ثم خرج ليصوب بندقيته على الناس ؟ الإجابة هي نفسها : لا ! وكما نعرف جميعاً ، فإن الياباني يمكن أن ينتحر لمجرد رفع القبعة منذ أيام قرأت أن شاباً يابانياً قتل نفسه لأنه سقط في امتحان دخول الجامعة»

«هل يمكن أن أتحدث مع ابنتي» ؟ سألت المرأة ، التي لم تكن معنية باليابانيين ، أو الهنود أو الكنديين .

قال د. إيجور منزعجاً قليلاً من مقاطعتها له «نعم ، نعم في لحظات . لكني أولاً ، أريدك أن تفهمي شيئاً واحداً ، باستثناء حالات قهرية باثولوجية معينة ، الناس يجنون عندما يحاولون الهروب من الروتين . فقط . هل تفهمين» ؟

أجابته . «أفهم ، وإذا كنت تظن أنني لن أستطيع رعايتها ، فتأكد أنني لم أحاول أبداً أن أغير من حياتي»

بدا د. إيجور مرتاحاً : «جيد . هل تستطيعين تخيل عالم ، لا نضطر فيه على سبيل المثال ، إلى تكرار نفس الأشياء يومياً خلال حياتنا ؟ لو ، مثلاً ، قررنا أن نأكل عندما نجوع فقط ، ما الذي سيحصل لربات البيوت والمطاعم حينئذ ؟

«سيكون طبيعياً أكثر أن نأكل عندما نجوع» ، فكرت المرأة ، لكنها لم تقل شيئاً ، خشية أنه ربما يمنعها من التحدث إلى ابنتها فيما بعد

قالت أخيراً «حسنا ، سوف يصنع ذلك ارتباكاً كبيراً ، أنا نفسي ربة منزل ، وأعلم ما الذي أتحدث عنه»

«هكذا نتناول فطارنا ، غداءنا وعشاءنا . علينا أن نستيقظ في ساعة معينة في النهار كل يوم وأن نرتاح مرة واحدة في الأسبوع . أعياد الكريسماس وجدت حتى نتبادل الهدايا ، وعيد الفصح حتى نقضي أيامنا قرب البحيرة . كيف ستشعرين إذ أصاب زوجك المس والشهوة فجأة فقرر أن يمارس الحب معك في غرفة المعيشة» ؟

فكرت المرأة : «ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل ؟ لقد أتيت إلى هنا لرؤية ابنتي» . قالت ، بحذر ، آملة في إعفائها من الإجابة الصحيحة «سأجده مثيراً للحزن»

زمجر الدكتور إيجور : «ممتاز ، غرفة النوم هي المكان الصحيح لممارسة الحب . ممارسة الحب في أي مكان آخر تعطي نموذجاً سيئاً وتساعد على انتشار الفوضى»

سألت المرأة «هل يمكنني أن أرى ابنتي؟»

وأحس د. إيجور باليأس منها . هذه الفلاحة لن تفهم أبداً ما يحاول قوله لها ، لم تكن مهتمة بمناقشة الجنون من زاوية فلسفية، حتى وهي تعرف أن ابنتها حاولت الانتحار وأنها كانت في غيبوبة

ضغط على زر الجرس، فظهرت السكرتيرة وقال «هذي الشابة التي حاولت الانتحار تلك التي كتبت الرسالة إلى الصحيفة قائلة إنها قتلت نفسها لكي تضع سلوفينيا على الخارطة»

«لا أريد أن أراها . لقد قطعت كل صلاتي مع العالم الخارجي» .

كان من الصعب قول ذلك في القاعة ، حيث الجميع هناك . إلا أن الممرضة لم تكن حريصة أيضا ، وأعلنت بصوت مرتفع أن والدتها تنتظر لتراها ، وكأنه أمرٌ عام .

لم ترغب أن ترى أمها، سيزعج الأمر كلتيهما . من الأفضل أن تفكر فيها أمها كميتة. لقد كرهت فيرونيكا دائماً لحظات الوداع

اختفى الرجل من حيث أتى، وعادت هي لتنظر إلى الجبال. بعد أسبوع، عادت الشمس للبزوغ من جديد . شيء حدست به منذ ليلة البارحة ، لأن القمر قد أخبرها حينما عزفت له على البيانو

«كلا، هذا جنون، إنني أفقد عقلي . الكواكب لا تتحدث، أو ربما للمجنين الهواة . إذا كان القمر قد تحدث لأي شخص، فقد تحدث إلى ذلك الفصامي»

في نفس اللحظة التي فكرت فيها بذلك، انتابها ألم حاد في صدرها، وأن ذراعها قد تخدرت . فيرونيكا أحست برأسها يدور. سكتة قلبية . دخلت في حالة من النشوة، كأن الموت حررها من خوفها من أن تموت. هكذا إذن، انتهى الأمر لعلها مازالت تعاني من بعض الألم، ولكن ما الذي تعنيه خمس دقائق من المعاناة كبديل لسلام دائم؟ كان رد الفعل الوحيد الممكن هو أن تغمض عينيها . في الأفلام، كان أكثر شيء تكره رؤيته هو مشهد الموتى وهم يحدقون بعيون مفتوحة

غير أن السكتة القلبية كانت مختلفة عما تخيلت. أصبح تنفسها مضطرباً، وكانت فيرونيكا مذعورة لأنها اكتشفت أنها ستمر في أشد مخاوفها. الاختناق كانت ستموت كما لو تم دفنها حية، أو كما لو أنها غرقت فجأة في لجة بحر عميق

لقد تعثرت، وقعت، وأحست بصفحة حادة على وجهها، واستمرت في محاولة بطولية للتنفس، غير أن الهواء لم يكن يدخل فيها. أسوأ من كل ذلك، أن الموت لم يأت. كانت بكامل وعيها لما يجري حولها، مازلت تستطيع أن ترى الألوان والأشكال، بالرغم من صعوبت في سماع ما يردده الآخرون. الصرخات والتنبيهات بدت بعيدة جدا، كأنها تأتي من عالم آخر. باستثناء ذلك، فإن كل شئ كان حقيقيا، لم يكن الهواء يدخل إلى رئتيها، إنه ببساطة يعصي الأوامر التي تصلها رئتها وعضلاتها، ومع ذلك لم تفقد الوعي

أحست بشخص يلمسها، ويقلبها، لكنها فقدت السيطرة على حركات عينيه، اللتين تتقلبان بسرعة، مرسلة بمئات الخيالات المختلفة إلى عقله، خالطة بين مشاعر الاختناق وحس مشوش تماما من الرؤية

بعد برهة، صارت الخيالات بعيدة، وعندما وصلت المعاناة إلى الذروة، نفخ الهواء بسرعة إلى رئتيه، محدثا ضجيجا كبيرا جعل الموجودين في القاعة في حالة شلل من الخوف، راحت فيرونيكا تتقيأ بشدة، عندما مرت تلك اللحظة القريبة من المأساة، بدأ بعض المجانين في القهقهة، وأحست هي بالإذلال، والضياع، والشلل،

جاء ممرض راكضا وحقنها بالإبرة في ذراعها.

«اهدئي، كل شئ على ما يرام الآن»

«لم أمت» بدأت تصرخ، زاحفة نحو المرضى الآخرين، مبللة الأرضية والأثاث بقيئها «مازلت في هذا المستشفى اللعين، مجبرة على العيش معكم أيها الرعاع، مضطرة للموت آلاف المرات كل يوم كل ليلة، ولا أحد فيكم يشعر بذرة من الرحمة علي»

استدارت نحو الممرض، خطفت الإبرة من يده ورمتها إلى الحديقة في الخارج،

«وماذا تريد؟ لماذا لا تحقنني بالسم، بما أنني محكوم عليه بالموت؟ كيف تكون هكذا بلا قلب؟»

وعاجزة عن المزيد من السيطرة على نفسها، جلست على الأرض مرة أخرى وبدأت في النحيب الذي أفلت منها، والصراخ، والبكاء عاليا، وفيما ضحك منها بعض المرضى وصاروا يشيرون إلى البقع على ملابسها القذرة، قال طبيب مسرعا إلى هناك «أعطها المهدئ سيطر على الحالة».

غير أن الممرض تجمد في مكانه. خرج الطبيب ثم عاد بصحبة ممرضين وحقن أخرى. أمسك الرجال بالفتاة الهستيرية التي تقاوم في منتصف القاعة، فيما حقنها الطبيب بآخر قطرة من المهدئ في شريانها في الذراع الملوثة بالقئ،

كانت في غرفة الاستشارة عند د. إيجور ، مستلقية على سرير أبيض مرتب بأغطية نظيفة .

يستمع إلى قلبها . تتظاهر بأنها ما تزال نائمة ، ولكن شيئًا بداخلها قد تغير، وحسب الكلمات التي ينطق بها الطبيب :

«لا تقلقي . فبمثل حالتك الصحية ، يمكنك أن تعيشي حتى سن المائة» .

فتحت فيرونيكا عينيها . شخص ماكـــان قد خلع عنهـــا كل ملابسها . من ؟ د. إيجور ؟ هل يعني هذا أنه رآها عارية ؛ إن عقلها لم يكن يعمل تماماً .

«ما الذي قلته» ؟

«قلت لا تقلقي» .

«لا ، قلت إنني أستطيع أن أعيش حتى المائة» . ذهب الطبيب إلى مكتبه

كررت فيرونيكا : «لقد قلت إنني أستطيع أن أعيش إلى المائة» .

«لا شيء مؤكد في الطب ، قال د. إيجور ، محاولاً أن يغطي على الموضوع . «كل شيء ممكن» .

«كيف قلبي» ؟

«كما هو» .

لم تكن بحاجة إلى الاستماع إلى المزيد . عندما يواجه الأطباء بحالات مستعصية ، يقولون دائماً : «ستعيش إلى المائة» ، أو «ليس مصابا بمرض خطير» أو «لديك قلب وضغط دم فتاة شابة» ، أو حتى «علينا أن نعيد الفحوص». لعلهم يخافون أن يختل المرضى في غرف الاستشارة .

حولت أن تنهض ، لكنها لم تستطع ، بدأت الغرفة تدور «استلقي لبرهة أطول، حتى تتحسن حالتك ، وجودك لا يزعجني» .

فكرت فيرونيكا : آه حسناً ، ولكن ماذا لو كان ؟

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كلا ، أنت لست مجنونة ، فكر د. إيجور ، الذي كان خبيراً في الموضوع ، وله شهادات متنوعة معلقة على جدران غرفة الاستشارة . محاولة أن تنهي حياتك كان شيئاً صحيحاً يفعله البشر ، لقد عرف أشخاص كثيرين حاولوا ذلك ، ومع ذلك عاشوا خارج المستشفى ، ويبدون طبيعيين وأبرياء وعاديين ، فقط لأنهم لم يختاروا الطريقة الفضائحية لمحاولات انتحارهم .

لقد كانوا يقتلون أنفسهم بالتدريج ، مسممين أنفسهم بما يدعوه د. إيجور بالفيتريول .

فيتريول مادة سامة ، كان قد شخص عوارضها من خلال الرجال والنساء الذين التقاهم . الآن أخذ في كتابة أطروحة حول الموضوع ، وسيقوم بتسليمها إلى الأكاديمية السلوفينية للعلوم للتدقيق والإجازة . لقد كانت هذه أهم خطوة في حقل الاختلال العقلي منذ أمر د. بينيل بأنه يجب عدم الحجر على المرضى ، مدهشاً العالم الطبي بفكرة إمكانية شفاء بعض أولئك المرضى

ومثل الليبيدو . رد الفعل الكيميائي المسؤول عن الرغبة الجنسية والذي ميزه فرويد ، بالرغم من أن المختبرات العلمية لم تتوصل إلى تحديده ، كذلك الفيتريول الذي تفرزه الأعضاء البشرية في أي موقف يجد الشخص نفسه فيه في أحوال مخيفة ، على الرغم من أنه مازال لم يحصر بعد تحت الميكروسكوبات الطبية غير أنه كان من السهل تمييزه عبر الطعم . الذي لم يكن حلواً أو مالحاً . بل مر الطعم ، منحه الدكتور إيجور ، المكتشف غير المعروف بعد لهذه المادة الخطيرة ، سم سم كان مفضلاً ، في الماضي . من قبل الأباطرة ، الملوك والعشاق من كل نوع عندما تستدعي الضرورة تخلصهم من شخص غير مرغوب فيه

عصر ذهبي ، عصر الملوك والأباطرة ، عندما كان بإمكانك الحياة والموت رومنسياً . كان القاتل يدعو الضيف أو الضيفة للمشاركة في حفل عشاء ساحر

ويقدم الخدم لهم الشراب في كأسين ثمينتين ، إحدى هاتين الكأسين قد طعمت بالفيتريول . مخبئ نوع الإثارة التي كان يخلقها الضيف من خلال أية حركة يقوم بها . التقاطه للكأس . قوله لبعض الكلمات الرقيقة أو العنيفة ، شربه من تلك الكأس وكأنها تحوي مشروباً لذيذاً ، ثم منحه لصاحب الدعوة نظرة أخيرة مذهولة ، قبل السقوط على الأرض

غير أن هذا السم ، الذي كان باهظ الثمن ونادراً ، تم استبداله بطرق أكثر فعالية للإبادة – مسدسات ، بكتيريا ، إلخ . أنقذ د. إيجور ، الرومانسي بطبيعته ، ذلك الاسم من الضياع ومنحه إلى مرض الروح الذي نجح في تشخيصه ، الذي سيكون اكتشافه مدهشاً للعالم .

من الغريب أن أحداً ما لم يصف فيتريول كسم بشري ، بالرغم من أن معظم ضحاياه كانوا يميزون طعمه . ووصفوا حالة التسمم تلك بالمرارة . وإلى حد أو آخر ، الكل كان يملك شيئاً من تلك المرارة في جسده ، مثلما نحن جميعاً حملة لبكتيريا السل الرئوي . غير أن هذين المرضين الكامنين لا يهاجمان إلا في حالة ضعف المريض ، في حالة المرارة ، يكون الوضع المثالي لنشوب المرض عندما يصبح الشخص خائفاً مما يدعى «بالواقع»

أشخاص محددون ، في لهفتهم لصنع عالم خاص لا يخترقه أي تهديد خارجي ، يبنون دفاعات مبالغ فيها ضد العالم الخارجي ، الغرباء ، الأماكن غير المألوفة ، التجارب المختلفة ، ويتركون عالمهم الداخلي عارياً بشكل موحش وهناك تبدأ المرارة في نسج عملها القاتل

كانت الإرادة هي الهدف الرئيسي للمرارة (أو فيتريول ، كما كان د. إيجور يفضل أن يدعوه) . الأشخاص الذين يهاجمون ذلك الشر يبدأون في فقد كل رغباتهم ، وفي خلال أعوام قليلة ، يصبحون عاجزين عن مغادرة عالمهم الخاص

حيث كسوا هناك يسون جدراناً سميكة بكل طاقاتهم لصنع الواقع كما يريدونه أن يكون

وبهدف تجنب أي هجوم خارجي ، فإنهم أيضاً قننوا نموهم الداخلي .. استمروا في الذهاب إلى العمل ، ومشاهدة التليفزيون ، وإنجاب الأطفال ، والتذمر من المواصلات ، لكن كل تلك الأشياء تحدث آلياً ، غير مصحوبة بأي مشاعر خاصة ، لأن كل شيء تمت السيطرة عليه داخلياً .

كانت المسألة الكبرى في التسمم بالمرارة أن كل العواطف الجياشة - الكراهية، الحب ، اليأس ، الحماس ، الفضول لم تعد قابلة للتحقق . وبعد فترة يفقد الشخص الممرور كل رغبة لديه . فهم يفقدون القدرة على الحياة أو الموت ، وهذه هي المشكلة .

لذا ، فإن الأشخاص الممرورين يحنون إلى الأبطال والمجانين أرضياً خصبة للإعجاب ، لأنهم لا يخافون الحياة أو الموت . فكلاهما ، الأبطال والمجانين ، لا مبالين بالخطر وسيمضون قدماً بالرغم مما يقوله الآخرون .

المجنون يقوم بالانتحار ، ويقدم البطل نفسه للاستشهاد باسم القضية ، لكن الاثنين سوف يموتان ، والممرور سوف يقضي ليالي ونهارات كثيرة متأملاً الجنون والعظمة في كليهما . لقد كانت تلك هي اللحظة الوحيدة التي يمتلك فيها الشخص الممرور الطاقة لتسلق جدران دفاعاته والتلصص على العالم الخارجي ، غير أن ذراعيه وقدميه ستشعر بالوهن وتعود إلى حياتها اليومية المعتادة .

الشخص الممرور ذو التاريخ المرضي يلحظ مرضه مرة واحدة فقط في الأسبوع ، يوم الأحد ، بعد الظهر . في عدم وجود عمل أو روتين لتمويه الأعراض لديه، سوف يحس بأن ثمة شيئاً خطأ ، بما أنه يجد ذلك السلام الخاص بتلك الأوقات مثيراً لاضطراباته .

سيحس يوم الاثنين ، وسينسى الممرور أعراضه ، بالرغم من أنه سوف يلعن حقيقة أنه لا يملك الوقت الكافي للراحة وسيتذمر من أن إجازة نهاية الأسبوع تمر بسرعة شديدة .

من وجهة نظر اجتماعية ، كانت الميزة الوحيدة للمرض أنه أصبح هو العادي والشائع ، وأن دخول المستشفى لم يعد ضرورياً إلا في الحالات التي يكون فيها التسمم حاداً جداً بحيث أن سلوك المريض صار يؤثر على الآخرين . معظم الممرورين ، بإمكانهم الاستمرار في التعايش في العالم الخارجي ، ولا يمثلون خطراً على المجتمع أو الآخرين ، لأنه بسبب الجدران السميكة التي أحاطوا أنفسهم بها ، كانوا معزولين تماماً عن العالم ، حتى وإن بدوا أنهم يشاركون فيه.

اكتشف فرويد الليبدو علاجاً للمرض الذي يتسبب في التحليل النفسي وباستثناء اكتشافه لحقيقة وجود الفتيرول ، فإن د. إيجور كان بحاجة إلى إثبات أن العلاج كان ممكناً . لقد رغب في أن يترك بصمته على التاريخ الطبي ، ولم يكن موهوماً حول الصعاب التي سيواجهها عندما يعلن للعالم ذلك عبر نشر أبحاثه، لأن الأشخاص العاديين كانوا راضين بحياتهم ولن يقبلوا بحقيقة وجود مرض كهذا ، في حين كان «المرضى» يغذون تجارة ضخمة للمستشفيات العقلية ، المختبرات ، ومجالس البرلمانات ، الخ .

«أعرف أن العالم لن يعترف بجهودي» ، قال لنفسه فخوراً بأنه لم يُفهم . فبعد كل شيء ، فإن ذلك هو الثمن الذي يدفعه كل العباقرة

«هل هناك طارئ ما ، أيها الطبيب؟» . «يبدو أنك قد سرحت بعيداً إلى عالم مرضاك»

تجاهل د. إيجور ذلك التعليق غير المهذب ، وقال «يمكنك أن تذهبي ، الآن»

لم تدرك فيرونيكا إذا ماكان د. إيجور كان قد احتفظ بالإضاءة ليلاً أو نهاراً ، غير أنه كان يفعل ذلك كل صباح عندما وصلت إلي الممر ، ورأت القمر أدركت أنها استغرقت في النوم أكثر مما ظنت .

فى الطريق إلى الجناح ، لاحظت صورة على الحائط . لقد كانت الميدان الرئيسى فى لجوبلجانا ، قبل أن ينصب فيه تمثال الشاعر بريزرن : كان هناك أزواج يتنزهون ، وبما فى يوم الأحد .

نظرت إلى تاريخ الصورة : صيف عام ١٩١٠ .

صيف ١٩١٠ كان هناك كل أولئك الناس ، الذين مات أولادهم وأحفادهم الآن ، متجمدين فى لحظة معينة من حياتهم . النساء ترتدى ملابس أنيقة والرجال يعتمرون القبعات ، ويرتدون المعاطف، وروابطات العنق. أو تلك القطع الملونة من القماش كما يسميها المجانين، ويحملون مظلات تحت الأذرعة.

كم كان الطقس حارا آنذاك؟ لابد أن درجة الحرارة كانت هى نفسها لصيف اليوم، ٣٥ درجة في الظل. لو أن رجلا انجليزيا خرج فى ذلك الوقت بملابس صيفية حديثة شورت بيرمودا وقمصان عارية الأذرعة - ماذا كان سيفكر أولئك الناس؟

«لابد أنه مجنون.»

لقد استوعبت بدقة ما كان يعنيه د. إيجور، كما قد استوعبت تماما، بالرغم من أنها شعرت دائما بأنها محبوبة ومحمية، كان هناك عنصر واحد مفقود لتحويل ذلك الحب إلى برقة كانت يجب أن تسمح لنفسها بأن تكون مجنونة أكثر قليلا مما كانت.

كان والداها سيظلان على حبهما لها، لكن، خوفا من أن تجرحهما، لم تتجرأ على دفع ثمن حلمها، الحلم الذى كان مدفونا فى ذاكرتها، رغم أنه كان يستيقظ

أحياناً عند سماعها لإسطوانة جميلة حدث أن استمعت إليها، وكلما يستيقظ يقوى شعورها بالقهر مما يدفع بها إلى إرساله إلى النوم مرة أخرى.

كانت فيرونيكا تأمل منذ الطفولة أن تكون مهنتها الحقيقية هي عزف البيانو.

كان ذلك شعوراً أحسسته منذ الدرس الأول، في سن الثانية عشرة كان أستاذها قد أدرك موهبتها، أيضاً، وشجعها على الاحتراف غير أنها كلما شعرت بالسعادة لفوزها في المنافسات وقالت لأمها إنها تنوي أن تكرس نفسها للبيانو، كانت أمها تنظر إليها بإعجاب وتقول لها: «لا أحد يستطيع أن يكسب عيشه من عزف البيانو، يا حبيبتي».

«ولكنك طلبت مني أن آخذ الدروس»

«كي تطوري إمكاناتك الفنية، هذا كل ما في الأمر. كل الأزواج يحبون مثل هذه الأشياء في الزوجة، يمكن أن يستعرض موهبتك في الحفلات. إنسي أن تكوني عازفة بيانو، وقرري أن تدرسي الحقوق، فهذه هي مهنة المستقبل»

عملت فيرونيكا ما أرادته منها أمها، فبالتأكيد كانت خبرة أمها في الحياة تؤهلها لمعرفة الواقع. أنهت دراساتها، وذهبت إلى الجامعة، وحصلت على شهادة جيدة، لكنها انتهت إلى العمل في مكتبة.

«كان يجب أن أكون أكثر جنوناً» ولكن بلاشك كما يحدث مع معظم الناس اكتشفت ذلك متأخرة جداً»

كانت على وشك أن تكمل طريقها، عندما شدها شخص من ذراعها. كان المخدر القوي مازال يسري في شرايينها، لذا لم تملك أي رد فعل ضد إدوارد، الفصامي الذي صار يقودها بنعومة في اتجاه آخر - نحو القاعة.

كان القمر مازال هلالا وجلست فيرونيكا بالفعل أمام البيانو - كاستجابة لرغبة إدوارد الصامتة - عندما سمعت صوتاً قادماً من قاعة الطعام، يتحدث شخص بلهجة أجنبية لم تتذكر فيرونيكا أنها سمعتها من قبل في فيليت.

«لا أرغب في عزف البيانو الآن، يا إدوارد، أريد أن أعرف ماذا يحدث في العالم، وفيم يتحدثون هناك، ومن هو ذلك الرجل»؟

ابتسم إدوارد، وربما لم يدرك كلمة مما قالته، لكنها تذكرت ما قاله د. إيجور: الفصامي يستطيع الدخول والخروج من واقعه المنفصل. أكملت آملة أن يصبح كلامها منطقياً له.

«سوف أموت، اليوم، لامس الموت وجهي بجناحه، ربما سوف يقرع بابي إذا لم يكن غداً، فقريباً جداً. إنها ليست فكرة جيدة لك أن تعتاد على سماع البيانو كل ليلة.

لا أحد يجب أن يعتاد على شيء، إدوارد، أنظر إليّ. بدأت أستمتع بالشمس من جديد، الجبال، وحتى مشاكل الحياة، بدأت أقبل أن عدمية الحياة لم تكن خطأ أحد غيري، أردت أن أرى ميدان لجوبيجانا الرئيسي مرة ثانية، أن أشعر بالحب والكراهية، اليأس والأمل. كل تلك الأشياء البسيطة غير المهمة التي تصنع الحياة اليومية، لكنها تمنح البهجة لوجودنا. إذا ما استطعت يوماً ما أن أخرج من هنا، سأسمح لنفسي بالجنون، لأن كل أحد كذلك، بالفعل، والأكثر جنوناً هم أولئك الذين لا يدركون أنهم مجانين، لكنهم يستمرون في تكرار ما يقوله لهم الآخرون «لكن لم يعد بالإمكان أي من ذلك، ألا ترى؟ بالطريقة نفسها التي لا تستطيع أن تقضي فيها اليوم كاملاً بانتظار الليل كي يأتي وإحدى المريضات أن تعزف البيانو، لأنه قريباً جداً سينتهي كل ذلك. عالمي وعالمك على وشك الانتهاء»

قامت، لامست وجه الشاب برقة ثم ذهبت إلى قاعة الطعام.

حينما فتحت الباب، رأت مشهداً غير معتاد، كانت الكراسي والموائد قد حشدت في الخلف بقرب الجدران، مشكلة فضاءً رئيساً واسعاً. وهناك،

جالسون على الأرض ، كان أعضاء الأخوية ، يستمعون إلى رجل يرتدي بذلة وربطة عنق

«ثم دعوا نصر الدين ، سيد التقاليد الصوفية العظيم ، لإلقاء محاضرة» كان يقول

عندما فتح الباب ، نظر الجميع إلى فيرونيكا . والتفت رجل البذلة إليها .

«إجلسي»

جلست على الأرض ، على مقربة من ماري ، المرأة ذات الشعر الأبيض ، التي كانت عنيفة معها في اللقاء الأول . ولدهشة فيرونيكا ، رحبت ماري بها بابتسامة .

أكمل رجل البذلة قوله

«نصر الدين وافق على إلقاء محاضرة في الساعة الثانية بعد الظهر ، يبدو أن ذلك سوف يكون نجاحاً كبيراً امتلأت الكراسي الألف وبيعت كل التذاكر حتى أن سبعمائة شخص وقفوا في الخارج ، يتابعون المحاضرة من أجهزة التلفزيون بالخارج

في الساعة الثانية تماماً ، جاء أحد أعوان نصر الدين ليقول إنه لأسباب اضطرارية ، ستتأخر المحاضرة . قام البعض محتجاً ، وطالب بنقود التذاكر ثم خرج . ومع ذلك ، فإن الكثيرين بقوا في داخل وخارج قاعة المحاضرات

عند الرابعة بعد الظهر ، كان سيد الصوفية لم يحضر بعد بدأ الناس في ترك المكان تدريجياً ، مستعيدين نقودهم من مكتب التذاكر أوشك يوم العمل على انتهائه ، وحان وقت العودة إلى المنزل عندما دقت الساعة السادسة ، أصبح الألف وسبعمائة من الحضور أقل من مئة فقط

في هذه اللحظة ، وصل نصر الدين ، كان يبدو مخموراً للغاية ، بدأ في مغازلة

(*) ... جالسة في الصف الأول

تدهش الناس الذين انتظروه وبدأوا يشعرون بالإهانة كيف يستطيع هذا الرجل التصرف بتلك الطريقة بعد أن انتظروه كل تلك الساعات الطويلة ؟ صدرت بعض الهمهمات المحتجة ، غير أن سيد الصوفية تجاهلها . واستمر يقول بصوت عال ، كم هي مثيرة تلك الشابة ، ودعاها للذهاب معه إلى فرنسا

فكرت فيرونيكا ياله من معلم ، إنه حسن جداً لأنني لا أؤمن بمثل تلك الأشياء.

بعد أن شتم المتذمرين حاول نصر الدين أن يقوم ، لكنه سقط فجأة على الأرض . وبازدراء استعد عدد أكبر من الحضور للمغادرة ، مرددين أنها مهزلة ، وأنهم سينقلون ذلك المشهد المردي إلى الصحافة

لم يبق سوى تسعة أشخاص . وحالما خرجت آخر أفواج المحتجين من الحضور ، قام نصر الدين ، منتبها جداً ، وعيناه تلمعان وكان حضوره يلتف بوهج القوة والحكمة قال «إن من تبقى منكم وجلس هو من سيستمع إليّ ، لقد مررتم بنجاح من خلال اختبارين شديدين للطريق الروحي الصبر على انتظار اللحظة الصحيحة والشجاعة على عدم خيبة الأمل تجاه ما تواجهونه أنتم من سأعلم»

توقف الرجل وأخرج ناياً عربياً من جيبه .

«دعونا نأخذ استراحة قصيرة الآن ، ثم بعد ذلك نقوم بجلسات التأمل»

وقف أعضاء المجموعة لم تعرف فيرونيكا ما تفعل

«قومي أنت ، أيضاً» قالت ماري ، جاذبة إياها من يدها «لدينا استراحة لخمس دقائق»

«سأخرج ، لا أريد أن أكون في الطريق»

أخذتها ماري إلى الزاوية

«ألم تتعلمي شيئاً ، حتى باقتراب الموت منك ؟ توقفي عن التفكير دائماً بأنك عثرة في الطريق ، وأنت تزعجين أقرب شخص إليك. إذا لم يعجب ذلك الناس يمكنهم التذمر. وإذا لم تكن لديهم الشجاعة للتذمر ، فتلك مشكلتهم»

«ذلك اليوم الذي جئتك فيه ، فعلت شيئاً لم أفعله من قبل»

«وسمحت لنفسك بالذعر من مجرد مزحة قالها رجل مجنون. لماذا لا تتشبثين بيدقيك؟ ما الذي كان لديك لتفقديه» ؟

«كرامتي ، لكوني في مكان غير مرحب بي» .

«وما الكرامة؟ أن تجعلي كل شخص يعتقد أنك حسنة ، مهذبة ، محبة للبشرية. احكي شيئاً من الاحترام للطبيعة ، شاهدي أفلاماً قليلة عن الحيوانات لترى كيف يتقاتلون من أجل أماكنهم. كلنا وافقنا متعاطفين على صفعتك تلك»

لم يعد لدى فيرونيكا الوقت الكافي للصراع على مكان ، لذلك فقد غيرت الموضوع ، وسألت عن رجل البدلة من يكون ؟

ضحكت ماري «أنت تتحسنين» ، «أنت الآن تسألين أسئلة دون أن تقلقي عما إذا كنت فضولية أم لا. إنه معلم صوفي» .

«ما معنى صوفي» ؟

«صوف»

فيرونيكا لم تفهم ، صوف ؟

«الصوفية هي تقاليد روحانية للدراويش. لا يحاول معلموها إظهار مدى حكمتهم ، وأتباعها يدخلون في حالة من النشوة عبر الرقص الدائري»

«وما الفائدة من ذلك» ؟

«لست متأكدة ، لكن أعضاء مجموعتنا قرروا البحث في كل التجارب المحرمة. طوال حياتي ، كانت الحكومة تعلمنا أن الهدف الوحيد للبحث في

الروحانيات هو جعل الناس ينسون واقعهم ومشاكلهم الحقيقية. الآن أخبريني ألا تظنين أن محاولة فهم الحياة هي المشكلة «الحقيقية» ؟

نعم ، هي كذلك ، بالرغم من أن فيرونيكا لم تعد متأكدة من معنى «حقيقي»

طلب رجل البدلة - معلم صوفي كما تقول ماري - منهم جميعاً الجلوس في دائرة. ومن مزهرية أخرج كل الورود عدا وردة ، وردة حمراء واحدة ، ووضعها في منتصف الدائرة التي تجلس فيها المجموعة

قالت فيرونيكا لماري : «أترين إلى أين وصلنا» .

«قرر رجل مجنون أنه بالإمكان زراعة الورد في الشتاء. واليوم في أوروبا كلها ، لدينا ورود طوال العام ، هل تظنين أن معلماً صوفياً ، رغم كل معرفته ، يستطيع فعل ذلك» ؟

بدت ماري أنها تقرأ أفكارها

«احتفظي بنقدك حتى الأخير»

«سوف أحاول. بالرغم من أن كل ما أملكه هو الحاضر ، وقصير جداً كما يبدو» .

«هذا هو مايحتاجه أي شخص ، وهو قصير دائماً ، بالرغم من أن بعض الناس يؤمنون أن لهم ماضياً يستطيعون فيه مراكمة الأشياء ومستقبلاً يراكمون فيه المزيد. بالمناسبة ، بما أننا نتحدث حول اللحظة الراهنة ، هل تمارسين العادة السرية كثيراً؟»

بالرغم من أنها تحت تأثير المخدر الذي أعطوها إياه ، تذكرت فيرونيكا الكلمات الأولى التي سمعتها في فيليت.

«عندما أحضروني هنا في البداية وكنت محاطة بالأنابيب والمغذيات ، سمعت شخصاً يسألني إذا كنت أريد أن أستمني. ماهذا كله؟ لماذا تقضون وقتكم في

التفكير في مثل هذه الأشياء؟» ، إنه الشيء نفسه في الخارج ، الفرق فقط نحن هنا لانخفي الحقائق».

«هل أنت التي سألتني ذلك السؤال؟»

«كلا ، لكنني أعتقد أنه فيما يتعلق بالمتعة ، فإن عليك أن تكتشفي إلى أي مدى تستطيعين أن تصلي إليها. في المرة القادمة ، ومع بعض الصبر، يمكنك أن تتخذي شريكك إلى هناك ، بدلاً من انتظار أن يقودك هو حتى لو كان لديك يومان فقط للحب ، لا أعتقد أنك يجب أن تغادري الحياة دون أن تعرفي المدى الذي يمكنك الوصول إليه»

«فقط إذا كان شريكي هو الفصامي الذي ينتظرني في هذه اللحظة كي يستمع إلى عزفي من جديد عند البيانو».

«إنه وسيم ، بالتأكيد».

قاطع رجل البذلة حديثهما بدعوته للصمت ، طلب من الجميع التركيز على الوردة كي يفرغوا عقولهم مما فيها

«ستعود الأفكار، حاولوا أن تدفعوا بها إلى جنب وحد ، لديكم خياران أن تسيطروا على عقولكم أو تسمحوا للعقل أن يسيطر عليكم أنتم على خبرة بالخيار الثاني والسماح لأنفسكم بالانجراف مع الخوف ، العصبية ، عدم الأمان، لأننا كلنا نملك الميول للتدمير الذاتي

«لاتخلطوا بين الجنون وفقدان السيطرة ، تذكروا أنه في التقاليد الصوفية، المعلم – نصر الدين – هو من يدعوه الجميع بالمجنون . ولهذا السبب بالتحديد ويكون اخوته المواطنون يدعونه بالمجنون فإن نصر الدين يستطيع أن يقول وأن يفعل مايريد . وهكذا فإنهم استطاعوا في البلاطات خلال العصور الوسطى ، أن

يحذروا الملوك من المخاطر التي لم يجرؤ الوزراء على الحديث عنها لخوفهم من عواقب ذلك على مناصبهم .

«وهكذا يجب أن يكون الأمر بالنسبة إليكم ، ابقوا مجانين ، لكن تصرفوا مثل البشر العاديين ، خاطروا بالاختلاف ، لكن تعلموا فعل ذلك دون جذب الانتباه إليكم ركزوا أذهانكم على هذه الوردة واسمحوا «للأنا» الحقيقية أن تفصح عن نفسها».

سألت فيرونيكا «وما هي «الأنا» الحقيقية؟ »

ربما يعرف الجميع، ولكن ما يهم ذلك عليك أن تتعلم كيف تهتم أقل بإزعاج الآخرين

بدا الرجل مستغرباً تلك المقاطعة لحديثه ، غير أنه أجاب على سؤالها

«المهم من هو أنت ، وليس ما يحسبه إياك الآخرون»

قررت فيرونيكا أن تنفذ التمرين ، والتركيز بقدر ما تستطيع على اكتشاف من كانت خلال تلك الأيام في فيليت، أحست بأشياء لم تشعر بها من قبل وبقوة شديدة الكراهية ، الحب ، الخوف ، الفضول ، والرغبة في الحياة

ربما كانت ماري محقة هل كانت تدرك بالفعل ما الذي تعنيه النشوة ؟ أم أنها جارت الرجال كما أرادوا لها حين عاشروها؟

بدأ الرجل في عزف الناي وتدريجياً أضفت الموسيقى الهدوء على روحها، واستطاعت أن تركز على الوردة . ربما كان ذلك من تأثير المهدئ، لكن الواقع أنها ومنذ غادرت مكتب د. ايجور فقد شعرت بتحسن رائع

كانت تعرف أنها ستموت سريعاً ، فلماذا الخوف إذن؟ لن يساعدها على

الإطلاق ، ولن يجنبها النتيجة القلبية الحتمية، أفضل خطة ممكنة هي أن تستمتع بالأيام والساعات الباقية لها ، وأن تفعل أشياء لم تفعلها في حياتها من قبل

كانت الموسيقى ناعمة ، والضوء الخافت في قاعة الطعام خلق جواً دينياً الدين. لماذا لم تحاول الغوص بداخلها لترى ما لدى تبقى من معتقداتها وإيمانها؟

غير أن الموسيقى كانت تعودها إلى مكان آخر. فرغ عقلك توقف عن التفكير في أي شيء، فقط. تحلت فيرونيكا عن نفسها من أجل التجربة، حدقت في الوردة ورأت من كانت، وأحبت ما رأت وشعرت بالندم فقط تجاه تسرعها

عندما انتهت جلسة التأمل ، وغادر المعلم الصوفي، بقيت ماري لبعض الوقت في قاعة الطعام ، للتحدث مع بقية أعضاء الأخوية فقالت فيرونيكا إنها متعبة وغادرت في الحال ، فالمهدئ الذي تناولته ذلك الصباح كان من القوة بمكان لطرح حصان على الأرض ، مع ذلك فإنها كانت قوية بما فيه الكفاية لتبقى يقظة طوال الوقت.

«هذا هو الشباب إذن ، إنه يضع حدوده دون أن يسأل حتى إذا ما كان الجسد يتحمل ذلك . وبالرغم من هذا فإن الجسد «يفعل» دائماً

ماري لم تكن مرهقة ، لقد نامت حتى وقت متأخر ، ثم قررت أن تذهب للتنزه في لجويبجانا وصب الدكتور ايجور من أعضاء الأخوية أن يغادر فيليت يومياً ذهبت إلى السينما ونامت على المقعد ، مشاهدة فيلم مثير للملل حول الخلافات الزوجية ، أليس هناك موضوع آخر ؟ لماذا يعيدون دائماً القصص نفسها زوج مع عشيقة. زوج مع زوجته وطفل مريض ، زوج مع زوجة، عشيق مع طفل مريض؟ إن هناك أموراً أكثر أهمية في العالم للحديث حولها.

لم يطل الحوار في قاعة الطعام كثيراً ، لقد تركت جلسة التأمل أعضاء المجموعة في حالة من الاسترخاء وكانوا جاهزين للعودة إلى أجنحتهم. بخلاف ماري التي ذهبت إلى الحديقة ورأت أن الشابة لم تذهب إلى سريرها ، بعد

كانت تعرف إدوارد الفصامي، الذي كان ربما في انتظارها طوال ذلك الوقت بقرب البيانو. لا فالمجانين كالأطفال، لايكفون عن طلباتهم حتى يتم إرضاؤهم

كان الهواء قارصاً . عادت ماري إلى الداخل ، أخذت معطفاً معها وعادت إلى الخارج ، وبعيداً عن عيون الجميع ، أشعلت سيجارة. دخنت ببطء دون احساس بالذنب ، مفكرة في المرأة الشابة ، موسيقى البيانو التي تسمعها والحياة خارج جدران فيليت ، التي أصبحت أكثر صعوبة للجميع

من وجهة نظر ماري ، كانت تلك الصعوبة ليست بسبب الفوضى، الارتباك، أو عدم التنظيم ، ولكن بسبب زيادة النظام . صار للمجتمع قوانين كثيرة . وأحكام تناقض القوانين ، وقوانين جديده تناقض التشريعات وأحس الناس بالذعر من اتخاذ خطوة واحدة خارج التشريعات غير المرئية التي تقود حياة الجميع

كانت ماري تعرف جيداً ما الذي تتحدث عنه ، وحتى الوقت الذي دفع بها مرضها إلى فيليت ، فقد قضت أربعين عاماً من حياتها تعمل محامية . فقدت رؤيتها البريئة للعدالة في بداية عملها ، وتوصلت إلى فهم أن القوانين لم تخلق من أجل حل المشاكل، ولكن لمد الخلافات بلا أجل

من المخجل أن الله ، يهوه، الإله - مهما كان الاسم الذي ندعوه به - لا يعيش في هذا العالم اليوم ، لأنه لو فعل، سوف نبقى في الجنة، فيما يغرق هو في المطالبات، التدخلات، الطلبات، الاعتراضات، الأحكام الأولية وسوف يضطر إلى تبرير عدد غير محدود من مظالم والمعاناة تسبب فيها قراره بخروج آدم وحواء من الجنة لكسرهم تشريع تعسفي لا أساس له في القانون حول شجرة المعرفة بالخير والشر التي منها لا تأكل.

إذا كان غير راغب في حدوث ذلك ، لماذا وضع الشجرة في منتصف الحديقة وليس خارج جدران الجنة؟ لو أنها استدعت للدفاع عن الزوجين . كانت ماري بلاشك سوف تتهم الإله بالإهمال الإداري ، لأنه بالإضافة إلى غرسه الشجرة في مكان خاطىء ، فشل في إحاطتها بالتنبيهات والحواجز، لقد فشل في أخذ أقل الاحتياطات الأمنية الممكنة، وهكذا فإنه عرض الجميع للخطر

يمكن لماري ، أيضاً ، اتهامه بالتحريض على السلوك الإجرامي ، لأنه قد أشار إلى آدم وحواء بالمكان الدقيق للعثور على الشجرة . لو أنه لم يقل شيئاً، فإن جيلاً بعد جيل كان سيعبر عبر ذلك التراب دون أن يهتم أي شخص بالفاكهة

المحرمة، بما أن الشجرة كان من المفترض أن تكون في غابة من الأشجار المثيلة ولذلك فإن ليس لها قيمة خاصة

غير أن الإله سلك مسلكاً مختلفاً تماماً، لقد صمم قانونا ثم أوجد طريقة ليكسر شخص ما ذلك القانون، حتى يتمكن من ابتكار العقوبة، كان يعرف أن آدم وحواء سوف يصيبهما الملل من الكمال، وسوف يأتي الوقت كي يختبرا صبره . لقد نصب فخا ، ربما لأنه هو ، الإله العظيم ، كان ضجرا من كل شيء يمضي بهدوء لو لم تأكل حواء التفاحة، لم يكن ليحدث أي شيء مثير خلال بلايين السنين القليلة الماضية

عندما ما تم كسر القانون، فإن الإله - القاضي الأعظم - تظاهر بأنه يلاحقهم، وكأنه لم يكن يعرف بكل مكان محتملا للاختباء، ومع وجود الملائكة يراقبون، مستمتعين باللعبة «لابد أن الحياة كانت عزيزة جداً عليهم بعد أن غادر إبليس الجنة» بدأ يتمشى في الحديقة . فكرت ماري كم كان سيكون مشهداً رائعاً في فلم سينمائي مثير ستحققه تلك الفقرة من الإنجيل: خطوات الإله، تبدل الزوجان لنظرات الرعب، وتوقف القدمان فجأة أمام مخبأهم

«أين أنتم؟» سأل الإله.

«لقد سمعت الصوت في الحديقة، وخفت، لأنني كنت عارياً، فأخفيت نفسي» أجاب آدم، دون أن يعرف أنه بجوابه ذلك، كان قد أقر واعترف بالجريمة

وهكذا ، فإنه عبر مرقاً تحوي خدعة بسيطة، وبالتظاهر بأنه لم يعرف فاجأ آدم أو لماذا كان قد فر، فإن الإله حصل على ما يريد، ومع ذلك، وحتى لا يترك محلاً للشك بين الحضور من الملائكة الذين كانوا يراقبون المشهد بتركيز شديد، قرر أن يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك

«من أخبرك بأنك عار؟» قال الإله، عالم أن ذلك السؤال له جواب واحد فقط لأنني أكلت من شجرة المعرفة بالخير والشر

وبهذا السلوك عرض الإله على ملائكته أنه قاضي عادل، وأن حكمه على الزوجين بني على دليل صلب، ومسند، لم يعد الأمر هو إذا كان خطيئة المرأة أو طمعهم للسماح. لقد كان الإله بحاجة إلى ضرب مثل، حتى لا يستطيع كائن آخر، من الأرض أو الجنة، أن يجرؤ على مخالفة تعليماته.

لقد طرد الإله الزوجين، كما أن أطفالهم دفعوا الثمن أيضاً «كما مازال يحدث الآن مع أبناء المجرمين». وهكذا تم اختراع النظام القضائي. القانون تطبيق القانون بغض النظر عن منطقيته من عدمه». الحكم «حيث يهيمن الأكثر خبرة على الغرير». والعقوبة.

وبما أن الإنسانية قد حكم عليها دون حق الاستئناف، فقد قررت البشرية أن تخلق نظام دفاع، ضد إمكانية أن يختلف الإله استعمالاً جيداً لقواه. صحيح غير أن ملايين الدراسات أنتجت مقاييس قضائية كثيرة أصبحت، بالضرورة، متجاوزة، وأصبحت العدالة ملابسات مختلطة، ونصوصاً متناقضة لا أحد يفهمها بدقة.

حدث ذلك إلى درجة أن الإله عندما غير قلبه وأرسل ابنه كي يحمي العالم، ما الذي حدث، لقد وقع في أيدي العدالة نفسها التي ابتكرها.

إن تشابك القوانين خلق حيرة بحيث انتهى الابن إلى أن يسمر على الصليب. لم تكن محاكمة سهلة، لقد تم تمريره من أنانيس إلى كيافيس، ومن القسيس إلى الحاكم، الذي قرر أنه ليس هناك قوانين كافية في التشريع الروماني، ومن الحاكم إلى هيرود، والذي بدوره قرر أن التشريع اليهودي لايسمح بالحكم بالموت، ومن هيرود مرة أخرى إلى الحاكم الذي بحث عن مخرج، قدم للناس صفقة قانونية.

لقد أجاز أن يضرب الابن وأن يعرض على العامة، بجروحه، لكن ذلك لم يكن كافياً.

ومثل رجال النيابة اليوم ، قرر الحاكم أن يوفر على نفسه تكاليف رجل محكوم : قرر أن يقدم عيسى كبديل لباراباس ، عارفاً ، أنه اننذ ، العدالة قد تحولت إلى مسرح كبير للمشاهدين المطالبين بالموت للسجين.

وأخيراً ، استخدم الحاكم بند القانون الذي يمنح القاضي وليس الشخص المحكوم ، ترجيح الشك. لقد غسل يديه، مما يعني «لست متأكداً في تحاليلي». لقد كانت طريقة أخرى للحفاظ على نظام القضاء الروماني، دون أن يجرح العلاقات مع المحاكم المحلية ، وكذلك تحويل دفة القرار ووزنه إلى قرار العامة ، فيما لو كان هناك احتمال بأن يسبب الحكم أية مشكلة وقد جاء أحد المفتشين من العاصمة الإمبراطورية حتى يرى بنفسه ما الذي يحدث هناك.

العدالة. القانون. بالرغم من أن الإثنين كانا حيويين لحماية الأبرياء ، لم يكونا دائماً حسب رغبة الجميع.

كانت ماري سعيدة لابتعادها عن كل ذلك التشويش، بالرغم من أنها الليلة، وهي تستمع إلى البيانو، لم تكن متأكدة أن فيليت هي المكان المناسب لها.

«إذا ما قررت للمرة الأخيرة أن أغادر المكان ، فلن أعود إلى القانون. لن أقضي وقتي مع مجانين يظنون أنهم طبيعيون ومهمون ، غير أن هدفهم الوحيد في الحياة هو أن يصعبوا كل شيء للآخرين. سأصبح خياطة، مطرزة للثياب ، سأبيع الفواكة أمام مسرح البلدية . لقد قدمت مشاركتي الكافية للجنون لتطوير القوانين»

في فيليت كان مسموحاً لك بالتدخين ، ولكني لا أن تدوس على السيجارة في الممر. وبمتعة كبيرة ، فعلت ما كان ممنوعاً ، لأن الميزة الكبرى للوجود هناك كانت عدم الاضطرار لاحترام القوانين ولا حتى تحمل أي توابع مهمة لكسرك لها.

مضت إلى الباب . الحارس - كان دائماً حارساً هناك ، هو القانون - أومأ إليها وفتح الباب . قالت

«لست ذاهبة إلى الخارج» .

قال الحارس «موسيقى بيانو جميلة ، لقد استمعت إليها كل ليلة ، تقريباً»

«لن تستمر طويلاً» ، قالت ومشت سريعاً بعيداً عنه حتى لا تضطر إلى التفسير

لقد تذكرت ما قرأته في عيون الفتاة حينما جاءت إلى غرفة الطعام : الخوف

خوف . لعل فيرونيكا تشعر بعدم الطمأنينة ، الحياء ، الخجل ، الضغوط ، ولكن لماذا الخوف ؟ كان ذلك مبرراً عند مواجهة تهديد حقيقي : حيوانات شرسة ، مهاجمين مسلحين ، زلازل ، ولكن ليست مجموعة من الناس مجتمعين معاً في صالة طعام . قالت

«لكن البشر ، هم أنفسهم، استبدلوا كل مشاعرنا تقريبا بالخوف»

كانت ماري تعلم جيداً عم تتحدث ، لأن ذلك هو السبب الذي جلبها إلى فيليت نوبات الذعر

كان لدى ماري في غرفتها مكتبة متنوعة من المقالات حول الموضوع . الآن صار الناس يتحدثون عنه بصراحة ، ولقد شاهدت برنامج في التليفزيون الألماني ناقش فيه الناس تجاربهم الشخصية . في البرنامج نفسه ، كشفت إحصائية أن نسبة كبرى من السكان يعانون من هجمات نوبات الذعر ، رغم أن معظم المصابين بذلك حاولوا أن يخفوا الأعراض ، خوفاً من اعتبارهم مجانين

ولكن في الوقت الذي عانت فيه ماري من الهجمات الأولى الحاصلة ، لم يكن ذلك كله معروفاً «لقد كان جحيماً كاملاً» ، فكرت ، وهي تشعل سيجارة أخرى

كان البيانو مازال صادحاً ، وتبدو الفتاة على قدرة كافية للاستمرار في العزف طوال الليل

تأثر الكثير من النزلاء بوجود الفتاة في المستشفى ، وماري كانت إحداهم . في البداية ، حاولت أن تتجنبها ، خوفاً من إيقاظ رغبة الفتاة في الحياة ، بما أنه لم يكن هناك من مهرب ، كان من الأفضل بقاؤها راغبة في الموت . تعهد د. إيجور أن يكون الأمر معروفا ، ورغم أنها سوف تتلقى حقناً يومية ، فإن حالتها الجسدية سوف تتدهور ولن تكون هناك طريقة لإنقاذها

لقد فهم النزلاء الرسالة الموجهة إليهم واحتفظوا بمسافة من المرأة المحكومة بالموت . غير أنه ، وبدون أن يعرف أحد لماذا بالتحديد ، فإن فيرونيكا بدأت بالدفاع عن حياتها . والشخصين الوحيدين اللذين اقتربا منها كانا زيدكا، والتي سوف تغادر غداً ولم تكن تثرثر على أي حال ، وإدوارد .

كانت ماري بحاجة إلى أن تقول شيئاً لإدوارد ، يحترم آراءها دائماً . ألم يلاحظ أنه يجذب فيرونيكا إلى العالم من جديد ، وأن ذلك هو الشيء الأسوأ الذي يفعله لشخص لم يعد لديه أمل في النجاة ؟

فكرت في آلاف الطرق لتشرح له الوضع ، ولكنها كلها ستشعره بالذنب ، وهذا مالا تستطيع أن تفعله . فكرت ماري قليلاً ثم قررت أن تترك الأشياء في مسارها الطبيعي . إنها لم تعد محامية ولم ترغب في طرح مثل سيىء بأن تبتكر قوانين جديدة في مكان تعشش فيه الفوضى

غير أن حضور المرأة كان قد لامس الكثير من الناس هناك ، وبعضهم كان مستعداً لإعادة النظر في حياته ، حاول أحدهم أن يشرح ما يحدث : حالات الموت في فيليت كانت تحدث بعد مرض طويل ، عندما يكون الموت رحمة

غير أن حالة المرأة الشابة كانت مأساوية لأنها كانت يافعة جداً وتريد الآن أن تحيا من جديد ، وهو الأمر الذي يعلم الجميع أنه مستحيل. سأل البعض نفسه «مـــاذا لو حدث ذلك لي ، إن لدي فرصة للحياة. هل أنا صانع شيئاً جميلاً معها؟»

لم ينزعج البعض للحصول على إجابة ، لقد يئسوا منذ زمن طويل ويشكلون الآن جزءاً من العالم حيث لايوجد فيه هناك حياة أو موت ، زمان أو مكان. غير أن آخرين أجبروا على التفكير بشدة ، وماري كانت أحداهم

توقفت فيرونيكا عن العزف ، لبرهة ، ونظرت نحو ماري في الحديقة. كانت ترتدي معطفاً خفيفاً ضد برد الليل . هل كانت تود أن تموت ؟

«كلا ، أنا التي أود أن أموت»

عادت إلى البيانو . في أيام حياتها الأخيرة ، بدأت تحقق حلمها الكبير ، أن تعزف بالقلب والروح ، للمدة التي ترغبها وفي أي وقت بحسب مزاجها. لم يكن يعنيها أن جمهورها كله هو شاب فصامي ، بدا أنه يفهم الموسيقى ، وكان ذلك هو كل ما يعنيها .

لم ترغب مارى أبداً فى الانتحار . على عكس ذلك ، منذ خمسة أعوام مضت فى نفس دار السينما التي زارتها اليوم ، كانت قد شاهدت ، بذعر ، فيلماً حول الفقر فى السلفادور وفكرت كم هى مهمة حياتها آنذاك . فى ذلك الوقت - ومع وجود أطفالها وقد كبروا وصاروا يشقون طريقهم نحو مهنهم - كانت قد قررت التخى عن ذلك العمل المريك الذى لاينتهى كمحامية حتى تكرس بقية حياتها للعمل فى المنظمات الإنسانية . لقد كانت إشاعات نشوب حرب أهلية فى الوطن تزداد طوال الوقت ، غير أن ماري لم تصدق ذلك . كان من المستحيل ، وفى نهاية القرن العشرين ، أن يسمح المجتمع الأوربى بحرب جديدة على بواباته .

أما على الجانب الآخر من العالم ، فلم يكن هناك نقص فى المآسى ، وكانت إحدى تلك المآسى هى السلفادور حيث يتم إجبار أطفال الجوع والشوارع على الدعارة .

قالت لزوجها ، والذى كان يجلس على الكرسى بقربها : «كم هذا رهيب» .

وافق .

أجلت مارى قرارها ذلك لوقت طويل ، ولكن لعلها هذه هى اللحظة المناسبة للتحدث إليه . لقد حصلوا على كل الأشياء الرائعة التى يمكن أن تمنحها إليهم الحياة . منزل ، عمل ، أطفال طيبون ، رفاهية متواضعة ، هوايات وثقافة . لماذا لا نفعل شيئاً من أجل الآخرين على سبيل التغيير ؟ كانت لمارى صلات ومعارف فى الصليب الأحمر وكانت تعرف أنهم بحاجة إلى المتطوعين فى أرجاء كثيرة من العالم .

كما أجهدها الصراع مع البيروقراطية والقضايا القانونية ، عاجزة عن مساعدة أشخاص قضوا سنوات حياتهم محاولين حل مشاكل ليست من صنيعتهم . والعمل مع الصليب الأحمر ، سوف ينتج نتائج مباشرة .

قررت ، أنهما عندما يغادرن السينما ، سوف تدعو زوجها إلي القهوة لمناقشة تلك الفكرة .

وحالما ظهر مسئول حكومي من السلفادور على الشاشة ليقدم تبريرات واسعة حول بعض التظلمات الجديدة ، لاحظت ماري فجأة أن قلبها يخفق بشكل أسرع

قالت لنفسها إن هذا لا يعني شيئاً ، ربما أن الجو الخانق لدار السينما بدأ يؤثر عليها ، وإذا استمرت الأعراض فسوف تذهب للخارج كي تلتقط أنفاسها .

غير أن الأحداث أخذت مجراها ، بدأ قلبها في الخفقان أسرع وأسرع ، وانفجرت في عرق بارد

شعرت بالهلع وحاولت بصعوبة أن تركز انتباهها في الفيلم ، حتى تتحاشى أية أفكار سلبية ، غير أنها أدركت أنه لم يعد باستطاعتها متابعة ما يحدث على الشاشة . كانت ماري تستطيع أن ترى المشاهد والترجمة ، غير أنها بدت كأنها قد ولجت إلى حقيقة أخرى مختلفة كلياً ، حيث بدا كل شيء حولها غريباً وخارج السياق ، وكأنها تنزلق إلى مكان غريب في العالم لم تألفه من قبل . قالت لزوجها

«أنا لست على ما يرام» .

كانت قد أجلت قول ذلك أطول وقت ممكن ، لأن ذلك يعني أنه ثمة سوء ما ، غير أنها لم تستطع إخفاء ذلك طويلاً ، قال «لنذهب إلى الخارج»

عندما أخذ بيد زوجته لتقوم على رجليها ، لاحظت أنها كانت متجمدة

«لا أظن أنني استطيع الوصول إلى هناك . أرجوك أخبرني ماذا يحدث لي»

شعر زوجها بالخوف ، أيضاً تصبب العرق من وجه ماري لمع بريق غريب في عينيها

«إبقي هادئة ، سأخرج لطلب طبيب»

أحاط بها الهلع . كل شيء غير منطقي ما قاله والسينما ، والعتمة ، والأشخاص الجالسون بمحاذاة بعضهم البعض محدقين في الشاشة البراقة ، كل ذلك بدا مهدداً لها . كانت متأكدة أنها حية ، حتى يمكنها أن تلمس الحياة حولها كأنها شيء صلب وهذا لم يحدث لها من قبل .

«لا تتركني وحدي في أي حال من الأحوال . سأنهض وأذهب معك . ولكن على مهل»

قدم الاثنان اعتذارهما للأشخاص الجالسين لهما في الصف نفسه من الكراسي ، وبدأ في المشي نحو المخرج في خلفية السينما . خفق قلب ماري بعنف كانت متأكدة ، متأكدة تماماً أنها لن تخرج أبداً من ذلك المكان . كل شيء فعلته ، كل حركة قامت بها - تقديم قدم قبل أخرى ، القول «عذراً» ، تشبثها بذراع زوجها . تنفسها الزفير والشهيق - بدا متعمداً وقصدياً بشكل مخيف

لم تشعر بذعر كهذا طوال حياتها

«سوف أموت في هذه السينما»

كانت مقتنعة أنها تعرف ما يحدث ، لأنها ، منذ سنوات طويلة مضت ، ماتت صديقة لها في السينما نتيجة سكتة دماغية

السكتة الدماغية تشبه القنابل الموقوتة . إنها شرايين صغيرة متعددة تشكل أوردة . مثل سطح عجل قديم . وتبقى هناك كامنة لحياة طويلة . لا أحد يعرف إذا ما كانت قد تورمت ، إلا بالمصادفة ، بعد عمل أشعة للمخ لأسباب أخرى ، أو في الوقت الذي تنفجر فيه ، مغرقة بكل شيء مع الدماء ، تاركة الشخص وراءها في حالة غيبوبة ، متبوعة بالموت السريع .

وأثناء تحركهم في ممر السينما المظلم، تذكرت ماري الصديقة التي فقدتها الشيء الغريب، أن تأثير ذكرى ذلك الورم وصل إلى حواسها وكأنها انتقلت إلى كوكب آخر، وهي ترى الأشياء العادية كأنها تراها للمرة الأولى.

ثم، كان هناك أيضاً الخوف المرعب غير المبرر، والهلع من وجودها وحيدة في ذلك الكوكب الآخر. الموت. «عليّ أن أكف عن التفكير. سأتظاهر بأن كل شيء على ما يرام وسيصبح كذلك»

حاولت التصرف بطبيعية، واللحظات، تقلص الشعور بالغرابة. كانت الدقيقتان اللتان امتدت ما بين شعورها الأول بخفقان القلب السريع ووصولها إلى المخرج مع زوجها أكثر دقيقتين رعباً في حياتها.

عندما وصلا إلى المدخل الشديد الإضاءة، بدا كل شيء كأنه يبدأ من جديد. كانت الألوان تبدو متداخلة يخترقها الضوء من كل جانب من الشارع، بدا كل شيء غير واقعي. بدأت تلاحظ تفاصيل تنتبه إليها للمرة الأولى، مثلاً، وضوح الرؤية التي تغطي المساحة الصغيرة التي تحدق فيها، فيما يبدو كل شيء آخر غير واضح المعالم.

تعرف أن كل ما تستطيع أن تراه حولها كان مجرد مشهد تبتدعه الذبذبات الكهربائية داخل مخها، مستخدمة ذبذبات ضوئية تمر عبر ذلك العضو الجلاتيني المدعو بالعينين.

لا، عليها التوقف عن التفكير. في هذا الطريق يرقد الجنون.

عندئذ، كان خوفها من الانفجار الدماغي، قد مر، كانت قد تدبرت أمرها للخروج من السينما، ومازالت حية. أما الصديقة التي ماتت، على الجانب الآخر، لم تكن لديها فرصة لمغادرة كرسيها.

قال زوجها، عندما رأى وجه زوجته الرمادي وشفتاها التي فر منهما الدم «سأطلب سيارة إسعاف»

قالت وهي تسمع الحروف خارجة من فمها، واعية بالذبذبات الخمسة بكل حرف: «أطلب تاكسي كي الذهاب إلى المستشفى يعني قبولها بكونها مريضة بشكل حاد، وماري مصممة على استعادة كل شيء تكون طبيعية.

غادرا المدخل، وبدا أن الهواء البارد تأثيراً تأثيراً إيجابياً، استعادت ماري بعض السيطرة على نفسها، رغم أن نوبة الهلع والذعر كانت مازالت مستمرة. بينما كان زوجها يحاول جاهداً العثور على تاكسي، والذي كان نادراً في ذلك الوقت من ذلك اليوم، جلست على الرصيف محاولة ألا تنظر إلى ما يحيط بها. أطفال يلعبون، باصات تمر، وموسيقى تتردد من الملاهي، بدا كل ذلك سوريالياً، مرعباً، وغريباً.

وأخيراً، ظهر تاكسي.

قال زوجها، مساعداً زوجته في الدخول: «إلى المستشفى».

قالت: «أرجوك، دعنا نذهب إلى البيت» لم ترد الذهاب أي مكان غريب، كانت بحاجة ماسة إلى المألوف. الأشياء العادية التي يمكنها أن تقلص من مخاوفها وذعرها التي تعاني منها.

وفيما كان التاكسي يقلهما إلى البيت، بدأت خفقات قلبها تهدأ وعادت حرارة جسدها إلى الدرجة الطبيعية قالت لزوجها:

«سوف أشعر بالتحسن لابد أنه أثر شيء أكلته».

عندما وصلا إلى البيت، بدا العالم من جديد كما قد كان منذ طفولتها.

عندما رأت زوجها يذهب إلى الهاتف، سألته عما يفعل.

«سأتصل بطبيب»

«ليس هناك حاجة. أنظر إلي، أنا بخير»

عادت الحمرة إلى خدها ونبض قلبها بشكل طبيعي وتبخر الذعر الذي لم تكن تسيطر عليه قبل قليل.

نامت ماري بعمق في تلك الليلة ، واستيقظت واثقة من أن شخصاً ما وضع مخدراً في القهوة التي شربتها قبل الذهاب إلى دار السينما. كانت جريمة خطيرة ، وكانت على أوج الاستعداد ، في نهاية ما بعد الظهيرة ، للاتصال بالنيابة والذهاب إلى قاعة المشبوهين بهم لتحديد الشخص المسئول عن ذلك.

ذهبت إلى العمل ، قرأت عدداً من القضايا وحاولت أن تشغل نفسها بعدد من المهام ، لأن تجربة الأمس خلفت قلقاً من ذلك الخوف ، وأرادت أن تثبت لنفسها أن ذلك لن يحدث من جديد.

تناقشت حول فيلم «السلفادور» مع أحد زملائها ، وذكرت عابراً أنها صارت ضجرة من عمل الشيء نفسه يومياً.

«لعل الوقت أزف للتقاعد»

قال زميلها: «أنت أحد أهم المحامين لدينا ، إلى جانب ، القانون هو أحد المهن القليلة حيث يكون السن ميزة فيه. لماذا لا تأخذين عطلة طويلة بدلاً من ذلك؟ أنا متأكد أنك ستعودين إلى العمل بطاقة متجددة»

«أريد أن أعمل شيئاً مختلفاً تماماً بحياتي ، أريد أن أخوض مغامرة ، أساعد الآخرين ، وأن أعمل شيئاً لم أعمله من قبل»

وانتهت المناقشة ثم ذهبت إلى الميدان ، وتناولت غداءها في مطعم أكثر فخامة من المعتاد ، وعادت مبكرةً إلى المكتب. لقد حددت تلك اللحظة بداية انفصالها.

لم يكن باقي الموظفين قد عادوا بعد ، وانتهزت ماري الفرصة لتفحص الأعمال الموجودة على مكتبها. فتحت الدرج لأخذ القلم الرصاص والذي كانت تحتفظ به دائماً في نفس المكان غير أنها لم تجده. للشدة من الوقت خطر في بالها أن فشلها في وضع قلم الرصاص في مكانه المعهود قد يكون مؤشراً لغرابة سلوكها الحالي.

كان ذلك كافياً كي تتراكض خفقات قلبها بشدة من جديد ، وعاد إليها الهلع الذي عانت منه ليلة الأمس.

تجمدت ماري في مكانها. كانت الشمس تتسلل من وراء الستائر المعدنية مصفقة هالة مشعة وقاسية على كل شيء حولها. غير أنها عادت للشعور بأنها سوف تموت في أي دقيقة كان كل شيء قوياً بشدة ، ما الذي كانت تفعله في هذا المكتب؟

«أنا لا أؤمن بك يا الله ، ولكن أرجوك ساعدني»

مرة أخرى تفجر منها عرق بارد ، ولاحظت أنها لاتستطيع السيطرة على ذعرها. لو أن أحداً ما جاء في تلك اللحظة ، فإنه سيلاحظ عينيها المذعورتين ولسوف تضيع.

«هواء بارد»

كان الهواء البارد قد حسن من حالتها ليلة الأمس ، ولكن كيف يمكنها أن تصل بعيداً حتى الشارع. ومرة أخرى بدأت تلاحظ كل التفاصيل الصغيرة التي تحدث لها: درجة تنفسها - كان هناك أوقات حين أحست أنها إذ لم تبذل جهدها في الشهيق والزفير ، فإن جسدها لن يستطيع عمل ذلك بنفسه ، حركة رأسها كانت الصور تتلاحق وكأنها كاميرات تلفزيونية داخل رأسها - خفق قلبها أكثر فأكثر ، وجسدها يعرق في عرق بارد ولزج.

وبعد ذلك الرعب ، خوف غير مبرر وهائل من عمل أي شيء ، اتخاذ خطوة واحدة ، أو مغادرة الكرسي الذي كانت تجلس عليه.

«سوف يمر»

لقد مر في المرة الماضية ، ولكنها الآن في العمل ، ما الذي يمكنها أن تفعله؟ نظرت إلى ساعة الحائط وبدت كأنها آلة شاذة ، عقرباها يتحركان في نفس

المحور ، مشيران إلى قياس للوقت لم يفسره أحد أبداً . لماذا الثانية عشرة وليست العاشرة ، مثل كل مقاييسنا الأخرى ؟

«علي ألا أفكر في هذه الأشياء ، أنها تمعن في الجنون» . الجنون . ربما كانت تلك هي الكلمة الصحيحة لما تعاني منه . ستجمعت كل قوة إرادتها ، نهضت على قدميها وذهبت إلى المرحاض . لحسن الحظ ، كان المكتب ما زال خالياً ، وفي دقيقة بدت كأنها الأبد ، استطاعت أن تصل إلى هناك . بللت وجهها بالماء ، وتقلص شعورها بالغرابة ، رغم بقاء الخوف .

قالت لنفسها «سوف يمر» . «بالأمس مر» .

تذكرت ذلك ، يوم أول أمس ، استمرت الحالة لمدة نصف ساعة . أقفلت على نفسها باب أحد المراحيض ، جلست على كرسي المرحاض ووضعت رأسها بين ركبتيها . غير أن هذا الوضع بدا كأنه يضخم صوت دقات قلبها المتسارعة . فنهضت ماري من جديد .

«سوف يمر» .

بقيت هناك ، مفكرة في أنها لم تعد تعرف من تكون ، كانت ضائعة بلا أمل . سمعت أصواتاً بشرية تدخل وتخرج من المرحاض ، وصوت الحنفية يفتح ويغلق ، وثرثرات خاوية حول مواضيع تافهة . أكثر من مرة حاول أشخاص فتح باب المرحاض المربع الذي تقبع بداخله ، غير أنها تمتمت بعض الهمهمات فلم يصر أحد على فتح الباب . كان صوت ماء المراحيض مثل قوة جبارة للطبيعة ، قادرة على تحطيم مبنى كامل وإغراق الجميع في الجحيم .

ولكن ، كما ارتأت ، مر الخوف وعادت دقات قلبها طبيعية . وكان جيداً بالنسبة إليها أن سكرتيرتها كانت مقصرة في عملها بدرجة لم تلحظ فيها غيابها ، وإلا فإن المكتب بأكمله كان سيقتحم المرحاض للسؤال عنها والاطمئنان عليها .

عندما أحست بأنها استعادت سيطرتها على نفسها ، فتحت ماري باب المرحاض المربع . وغسلت وجهها مرة أخرى بالماء لفترة طويلة ثم عادت إلى المكتب ، قالت «وجهك خال من المساحيق» «هل تريدين استعارة بعض مما لدي ؟»

لم تزعج ماري نفسها حتى بالرد عليها . ذهبت إلى داخل المكتب ، التقطت حقيبتها وأشياءها الخاصة ، وأخبرت سكرتيرتها بأنها سوف تقضي بقية اليوم في المنزل ، احتجت السكرتيرة قائلة :

«ولكن عندك مواعيد كثيرة» . «أنت لا تعطيني الأوامر ، أنت تتلقينها . افعلي ما أقوله . والغي كل المواعيد» .

حدقت السكرتيرة في المرأة التي تعمل لديها منذ ثلاثة أعوام ، «التي لم تكن يوماً ما وقحة معها من قبل . لابد أن هناك شيئاً خطيراً قد ألم بها ، ربما أخبرها أحدهم أن زوجها في المنزل مع عشيقته ، وأنها أرادت أن تقبض عليهما متلبسين بالجرم المشهود . قالت الفتاة لنفسها :

«إنها محامية جيدة ، وهي تعرف ما الذي تفعله ، مما لاشك فيه أنها ستعتذر مني في الغد» .

لم يكن هناك من غد . في تلك الليلة ، تحدثت ماري طويلاً مع زوجها ووصفت له كل الأعراض التي مرت بها . ومعاً ، توصلا إلى خلاصة أن تسارع الخفقات ، نوبات العرق البارد ، الشعور بالغرابة ، العجز ، فقدان السيطرة ، يمكن تلخيصه كله بكلمة واحدة : الذعر . فكر أنه ربما عوارض ورم في الدماغ ، غير أنه لم يقل شيئاً . مما فكرت هي أن ذلك نذير بأحداث سيئة سوف تحدث ، غير أنها لم تقل شيئاً أيضاً . حاولا إيجاد أرضية مشتركة للمناقشة ، مثل الأشخاص المنطقيين ، والناضجين .

«لعله من الأفضل لك إجراء بعض الفحوصات الطبية»

وافقت ماري ، في حالة واحدة ، ألا يعرف أحد ، ولا حتى أبنوها ، بأي شيء حول الموضوع

في اليوم التالي تقدمت بطلب تمت الموافقة عليه بإجازة غير مدفوعة لمدة ثلاثين يوماً من المكتب . فكر زوجها في أخذها إلى النمسا حيث يوجد أخصائيين وأطباء كثر في مجال الطب الدماغي ، غير أنها رفضت مغادرة المنزل ، ازدادت النوبات وتستمر لفترات أطول

وبصعوبة كبيرة ، كانت ماري فيها تحت تأثير جرعات كبيرة من المهدئات ، استطاع الاثنان الوصول إلى المستشفى حيث خضعت ماري لفحوصات متعددة لم يعثروا على شيء غير عادي ، ولا حتى تورم في الدماغ

غير أن نوبات الذعر استمرت . بينما كان زوجها يقوم بالتبضع للمنزل ، والطهو ، راحت ماري تنظف المنزل بوسوسة وهوس كل يوم ، لتشغل دماغها بشيء آخر . بدأت في قراءة كل الكتب النفسية التي تجدها ، لتضعها جانباً بعد قراءتها لأنها وجدت كل الأعراض التي تصيبها في كل علة تصفها تلك الكتب

كان أسوأ ما في الموضوع ، أنه بالرغم من أن النوبات لم تعد مفاجأة ، غير أنها كانت ما زالت تشعر بنفس قوة ردة الفعل لديها من الذعر ، وفقدان السيطرة على النفس والاغتراب عن الواقع ، بالإضافة إلى أنها بدأت تشعر بالذنب تجاه زوجها الذي اضطر إلى القيام بعمله بالإضافة إلى أعمال البيت جميعها ، فيما عدا التنظيف

ومع مرور الوقت ، وبقاء الحال على ما هو عليه ، بدأت ماري تشعر بانزعاج عميق وبضجر منه . كان أقل شيء يثيرها ويجعلها تفقد أعصابها وتبدأ في الصراخ ، ثم النحيب بشكل هستيري

بعد إجازة الثلاثين يوماً ، جاء أحد زملاء ماري إلى المنزل . كان يتصل بالهاتف يومياً ، غير أن ماري إما أنها لم تكن ترد على اتصالاته أو أنها تضطر زوجها لكي يجيب بأنها مشغولة . في ذلك المساء ، وقف هناك يقرع الجرس حتى فتحت له الباب

كانت ماري قد قضت صباحاً عصيباً . قدمت له الشاي وجلسا للحديث حول المكتب ، سألها متى تستطيع العودة إلى العمل ؟

«أبداً»

تذكر جو رهف حول السلفادور .

«كنت دائماً تعملين بجد ومثابرة ، ومن حقك أن تختاري ما تريدين» ، قال دون أي تردد في صوته «أظن ، في حالة مثل هذه ، أن العمل خير علاج . قومي ببعض الرحلات ، تفرجي على العالم ، واذهبي إلى ما ترينه نافعاً ، غير أن أبواب المكتب دائماً مشرعة لك ، وفي انتظارك»

عندما سمعت ذلك ، تساقطت دموع ماري ، وإنه أمر يتكرر معها كثيراً في الآونة الأخيرة

انتظر زميلها حتى تهدأ . كمحام محترف ، فإنه لم يسألها عن شيء ، لكن يعرف أن فرصته ستكون أفضل في الحصول على إجابة من خلال صمته بدلاً من الأسئلة

أخبرته ماري بالقصة كلها ، منذ ما حدث في دار السينما حتى نوبات الهستيريا التي تنتابها تجاه زوجها ، الذي ضحى كثيراً كي يساندها . قالت

«أنا مجنونة»

أجاب ، بصوت مليء بالثقة ، وبرقة ، حقيقية في صوته : «في هذه الحالة ، لديك خياران . إما الحصول على بعض العلاجات أو الاستمرار في المرض»

«ليس هناك علاج لما أشعر به. صرت أملك كل قواي العقلية، وإنما قلقة لأن هذه الحالة استمرت لفترة طويلة تخلو حالتي من الأعراض الكلاسيكية للجنون، مثل الانسحاب من الواقع، واللامبالاة والعنف غير المسيطر عليه. فقط ذعر»

«هذا ما يقوله كل المجانين، أنهم طبيعيون جداً».

ضحك الاثنان وقدمت له المزيد من الشاي. تحدثا عن الطقس، واستقلال سلوفينيا، والتوتر المتزايد بين كرواتيا ويوغسلافيا. كانت ماري تشاهد التليفزيون طوال النهار وعلى دراية بما يحدث.

وقبل توديعها، لامس زميلها الموضوع من جديد.

«لقد افتتحوا لتو مستشفى جديد في المدينة» قال « وهو مدعوم بأموال أجنبية ويقدم خدمات من الدرجة الأولى » .

« خدمات لأي شيء »

«علاجات لفقدان الاتزان، دعينا نقول إن الذعر المبالغ فيه هو نوع من فقدان الاتزان»

وعدته ماري بالتفكير في الأمر، غير أنها لم تكن قد اتخذت قراراً حقيقياً. استمرت في التعرض لنوبات الذعر لشهر آخر، حتى أدركت أن حياتها الشخصية صارت تحت تأثير ما ... زواجها، كان على حافة الانهيار. ومرة أخرى طلبت بعض المهدئات وحاولت النهوض على قدميها خارج المنزل، لعدة لحظات يومياً خلال ستين يوماً

استقلت تاكسي وذهبت إلى المستشفى الجديد. في الطريق سألها السائق إذا كانت في زيارة لشخص ما.

«يقولون إنه مريح جداً، من الواضح أن لديهم مجانين حقيقيين هناك، أيضاً، وبعض العلاجات تحوي الصدمات الكهربائية».

قالت ماري «سوف أزور شخصاً ما هناك» . استغرق الأمر محادثة لمدة ساعة

حتى تبلغ معاناة ماري طوال شهرين نهايتها . مدير المستشفى رجل طويل صبغ شعره قبل فترة قصيرة، أشارت أن د. إيجور شرح لها أن تلك هي مجرد نوبات ذعر مرض تم اكتشافه حديثاً في علم النفس.

«هذا لا يعني أنه مرض جديد، شرح لها قاصداً أن يكون كلامه واضحاً

«الحقيقة أن الذين يعانون منه يميلون إلى إخفائه، حتى لا يظنهم الآخرون مجانين . إنه مجرد خلل كيميائي في الجسم، مثل الاكتئاب»

كتب د. إيجور لها وصفة طبية وأخبرها بأن تعود إلى المنزل

قالت ماري «لا أريد العودة الآن حتى بعد كل ما أخبرتني به، لن تكون لدي الشجاعة للخروج إلى الشارع، لقد تحول زواجي إلى جحيم، وروحي بحاجة إلى الوقت لتشافى من كل تلك الشهور التي قضاها في رعايتي»

وكما يحدث دائماً في مثل هذه الحالات - لأن المساهمين في المستشفى أرادوا أن يعمل المستشفى بكامل طاقته - فإن إيجور قبلها كمريضة، رغم أنه وضح له تماماً أن ذلك ليس ضرورياً في حالتها

استلمت ماري العلاجات اللازمة، مع المعالجات الطبية النفسية الصحيحة، وتقلصت أعراض المرض حتى اختفت تماماً

في تلك الأثناء انتشرت قصة دخولها وعلاجها إلى المستشفى في أرجاء لجوبلجانا المدينة الصغيرة. زميلها، وهو صديق منذ أعوام طويلة، ورفيق عرف معه لحظات كثيرة من الفرح والأزمات، جاء لزيارتها في فيليت. أبدى إعجابه بشجاعتها لاتباع نصيحته وتلقي المساعدة. غير أنه مضى في شرح سبب زيارته لها.

«لقد حان الوقت لكي تتقاعدي».

أدركت ماري ما الذي يختفي خلف تلك الكلمات: لا أحد سوف يثق فيها بما يكفي ليوكل إليها قضايا كمحامية قضت بعض الوقت كمريضة عقلية

«قلت إن العمل خير علاج. أنا بحاجة للعودة، حتى ولو لوقت قصير»

انتظرت رد فعله، غير أنه لم يقل شيئاً. أكملت ماري: «أنت الذي اقترحت عليّ أن أتعالج وحينما كنت أفكر في التقاعد، كانت فكرتي أن أترك وأنا في عز مركزي، راضية، قادرة على صنع قرار حر وذاتي. لا أريد أن أترك عملي هكذا، مهزومة على الأقل امنحني فرصة لكي أستعيد تقديري لنفسي، سأطلب أن أتقاعد»

تنحنح المحامي

«اقترحت حصولك على العلاج، لكنني لم أقل شيئاً عن دخولك إلى المستشفى»

«إنها مسألة وجود. كنت أرتعب جداً من الخروج إلى الشارع، إن زوجي كان على حافة الانهيار»

كانت ماري تعلم أنها تضيع كلماتها لا شيء تستطيع قوله سوف يغير من رأيه، بعد كل شيء بدت مهابة المكتب في خطر. ومع ذلك حاولت مرة أخرى»

«هنا في الداخل، عشت مع نوعين من الناس. أولئك الذين ليس لديهم فرصة أبداً للعودة إلى المجتمع، وأولئك الذين تم شفاؤهم تماماً، غير أنهم يفضلون التظاهر بالجنون بدلاً من مواجهة مسئوليات الحياة. أنا أريد وأحتاج أن أحب نفسي من جديد على أن أقنع نفسي بأنني قادرة على اتخاذ قراراتي. لا أقبل أن أدفع إلى قرارات ليست من صنعي»

«يحق لنا أن نصنع الكثير من القرارات في حياتنا»، قال زميلها «باستثناء الخطأ الذي يحطمنا».

لم يعد هناك سبب لمواصلة المناقشة، في رأيه، إن ماري ارتكبت خطأ فادحاً

بعد يومين، تلقت زيارة من محامٍ آخر، هذه المرة من مكتب مختلف، المكتب المنافس لزميلها السابق. ابتهجت ماري. لعله يعلم أنها حرة الآن للعمل في مكتب جديد، وستكون هناك فرصة لاستعادة مكانها في العالم.

جاء المحامي إلى غرفة الزيارة، جلس أمامها، ابتسم، وسألها إذا ما كانت تشعر بالتحسن ثم أخرج مجموعة من الأوراق من حافظة أوراقه قال «أنا هنا بناء على طلب زوجك. هذا طلب للطلاق، غير أنه من الواضح أنه سوف يواصل دفع فواتير المستشفى للمدة التي ترغبين في البقاء فيها هنا»

لم تحاول ماري أن تجادل وقعت على كل شيء بالرغم من أنها كانت تعرف أنه بحسب القانون الذي درسته ومارسته، تستطيع أن تمد الخصومة إلى أجل غير مسمى. بعد ذلك مضت مباشرة إلى مكتب د. إيجور وأخبرته أن أعراض المرض قد عادت

كان د. إيجور يعرف أنها كاذبة، غير أنه بالرغم من ذلك مد لها فترة العلاج إلى أجل غير مسمى

قررت فيرونيكا أن تذهب إلي السرير، غير أن إدوارد كان لايزال واقفاً عند البيانو.

«إنني مرهقة يا إدوارد. أنا بحاجة إلى النوم».

كانت تود أن تستمر في العزف من أجله، مستجمعه من ذاكرتها المخدرة كل السوناتات، والمقطوعات التي تعرفها، لأنه كان يعرف كيف يعبر عن إعجابة دون أن يبدو مطالباً إياها بأي شئ. غير إن جسدها لم يعد يحتمل المزيد.

كان وسيماً جداً، لو أنه يأخذ خطوة واحدة خارج عالمه ويراها كامرأة، إذن فإن لياليها الأخيرة على هذه الأرض قد تكون هي الأجمل في حياتها كلها: إدوارد هو الوحيد القادر على فهم أن فيرونيكا كانت فنانة. من خلال المشاعر الخالصة للسوناتا أو المعزوفة التي صنعت ارتباطاً مع هذا الرجل كما لم تعرف مثله من قبل.

كان إدوارد هو الرجل المثالي، حساس، مثقف، رجل استطاع إتلاف عالم غير مبال حتي يعيد خلقه في رأسه من جديد، وهذه المرة بألوان جديدة، شخصيات جديدة، وقصص جديدة، هذا العالم الجديد احتوى بداخله امرأة، بيانو وقمراً مازال يكبر. قالت مدركة أنه لن يفهمها:

«أستطيع أن أقع في الحب في هذه اللحظة وأن أمنحك كل شئ أملكه» كل ما تطلبه مني هو بعض الموسيقي، لكنني أكثر مما تظنني، وأنا أود أن أشاركك معي في أشياء أخرى بدأت أفهمها فقط للتو».

ابتسم إدوارد. هل فهمها؟ كانت فيرونيكا تخشى من كل التعليمات الخاصة بالسلوك الحسن التي تقول إنه عليك ألا تتحدث عن الحب مباشرة، وخصوصاً إلى رجل تعرفه بالكاد، لكنها قررت أن تستمر، لأنه لم يكن لديها ما تفقده.

« أنت الرجل الوحيد على وجه الأرض الذي أستطيع أن أقع في غرامه، إدوارد، لسبب بسيط وهو أنه عندما أموت فلن تفتقدني، أنا لا أعرف ما الذي يحس به الفصامي، غير أنني أعرف أنه لن يفتقد أحداً » .

«ربما كبداية، ستعتقد و قع أنه لن يكون هناك المزيد من موسيقى الليل، غير أن القمر سيستمر في البزوغ، وسيكون هناك أحد ما راغباً في عزف سوناتا من أجله، وخصوصاً في مستشفى، حيث كل شخص فينا ومنا، مجنون» (*).

لم تكن تعرف بالضبط ما العلاقة بين المجانين و القمر، لكن أنها قوية، إذ ما استخدموا تلك الكلمة لوصف المجانين.

«ولن أفتقدك، يا إدوارد، لأنني سوف أكون ميتة، بعيدة عن هنا. وبما أنني لست خائفة من فقدك، فلا يهم إن فكرت بي الليلة. عرفت من أجلك كامرأة عاشقة. كان ذلك رائعا. إنها أسعد لحظة في حياتي»

نظرت إلى ماري في الحديقة. تذكرت كلماتها. ومن جديد نظرت إلى الرجل الواقف أمامها.

خلعت فيرونيكا قميصها واقتربت من إدوارد. إذا كانت ستفعل شيئا، فليكن الآن. سوف تحتمل ماري البرد هناك في الخارج لمدة طويلة قبل أن تعود إلى الداخل.

تراجع إلى الخلف. كان السؤال في عينيه هو: متى ستعودين إلى عزف البيانو من جديد؟ متى تعزفين مقطوعة جديدة من الموسيقى كي تملأ روحه بالألوان نفسها، الألم، المعاناة و المتعة التي نقلها أولئك المؤلفون الموسيقيون من جيل إلى آخر عبر أعصابهم؟

«أخبرتني تلك المرأة في الخارج أن علي ممارسة العادة السرية لأستطيع أن أعرف المدى الذي يمكنني الوصول إليه. هل بإمكاني بالفعل أن أصل إلى أبعد مما وصلت من قبل؟»

(*) ملاحظة المترجمة: «مجنون» توازي كلمة Lunatic باللاتينية، وكلمة Luna تعني القمر، وكلمة Lunar تعني ما له علاقة بالقمر.

أخذت بيده وحاولت أن تدفع به إلى الأريكة. غير أن إدوارد رفض بتهذيب. لقد فضل أن يبقى واقفا حيث هو، قرب البيانو، منتظرا إياها حتى تعود للعزف من جديد.

صعقت همة فيرونيكا في البداية، غير أنها لاحظت فيما بعد أنه ليس لديها ما تخسره، إنها ميتة، فما الجدوى من الاستمرار في تغذية المخاوف أو المفاهيم السابقة التي دائما ما قننت حياتها. خلعت قميصها، بنطلونها، حمالة الصدر، ملابسها الداخلية، ثم وقفت أمامه عارية.

قهقه إدوارد. لم تعرف لماذا، فقط انتبهت إلى أنه يقهقه. وبنعومة أخذت يده ووضعتها على عانتها. بقيت يده هناك، جامدة. يئست فيرونيكا من الفكرة التي راودتها، وأبعدت يده.

كان هناك شيء ما يهيجها ويثيرها أكثر من مجرد اتصال جسدي مع الرجل. حقيقة أنه يمكنها أن تفعل ما تريد، وأنه ليس هناك أية حدود. وبغض النظر عن تلك المرأة في الخارج، والتي يمكن أن تعود إلى الداخل في أية لحظة، لن يستيقظ أي شخص آخر.

بدأ دمها يتصاعد، وتلاشى البرد الذي شعرت به عندما خلعت ملابسها. وقفت فيرونيكا وإدوارد وجها لوجه، هي عارية، وهو بكامل ملابسه.

تزلقت يد فيرونيكا إلى فرجها وأخذت الاستمناء، كانت قد فعلت ذلك من قبل، إما لوحدها أو مع شركاء، لكن أبدا ليس مثل هذه الحالة، حيث لا يبدي الرجل أي اهتمام و صبح بما يحدث. كان ذلك مثيراً، مثيرا جدا. هي واقفة منفرجة الساقين تلامس أعضاءها، صدرها، شعرها، مسلمة نفسها كما لم تفعل من قبل. ليس بسبب أنها أرادت أن ترى إدوارد يخرج من عالمه البعيد، ولكن لأن هذا شيء لم تجربه في حياتها من قبل.

بدأت تتحدث، وتقول أشياء لا تتصورها أشياء كان والداها وأصدقاؤها وأجدادها يرونها أشياء قذرة وعضت على شفتيها حتى لا تصرخ من شدة اللذة

راح ادوارد يحدق فيها ولمع شعاع مختلف في عينيه، كأنه أدرك ما تفعل، حتى لو كانت لصاقة فقط، الحرارة، العرق والرائحة التي كان يعبق بها جسدها لم تحس فيرونيكا بعد بالاشباع ركعت على ركبتيه وبدأت الاستمناء من جديد

كانت تود أن تموت من اللذة، وهي تفكر وتتأمل كل شيء كان محرما عليها توسلت إليه أن يلمسها، أن يأخذها عنوة، أن يستخدمها في أي شكل يرغبه وتمنت لو أن زيدكا كانت هناك أيضا، لأن المرأة تعرف كيف تداعب جسد امرأة أخرى أفضل من أي رجل، لأنها تعرف جيدا كل أسرار هذا الجسد

متبها الاحساس بأنها ممسوسة بالمس الشيطاني، تجثو على ركبتيها أمام ادوارد، الذي بقي واقفا واستخدمت كلمات ممنوعة وبذيئة لتخبره بما تريده أن يفعله بها، انفجرت لذة أخرى، أقوى من السابقة، وكأن كل شيء حولها على وشك الانفجار. وتذكرت النوبة القلبية التي انتابتها في الصباح، ولكن من الذي يهمه ذلك، سوف تموت في انفجار عظيم من اللذة.

راودتها نفسها أن تلامس ادوارد غير أنها لم تود المخاطرة بتدمير اللحظة بين أن تذهب بعيدا، بعيدا جدا، كما قالت ماري

تخيلت نفسها ملكة وعبدة في نفس الوقت، جلادة وضحية. في خيالها، كانت تصنع الحب مع رجال من كل لون أبيض، أسود، أصفر مع لوطيين وشحاذين كانت متاحة لأي شخص، وأن كان يستطيع أن يفعل ما يريده بها. أحست برعشة، اثنين، ثلاثة. تخيلت شيء لم تتخيله من قبل، ومنحت نفسها لكل شيء غريزي وخالص. وها هي غير قادرة على احتواء نفسها أطول من ذلك، صرخت من المتعة، مع آلام كل ارتعاشات النشوة التي مرت بها، وكل أولئك الرجال والنساء الذين دخلوا وخرجوا من جسدها عبر بوابات عقلها.

انبطحت على الأرض وبقيت هناك، غارقة في العرق، وروحها مفعمة بالسلام لقد أخفت رغباتها السرية حتى عن نفسها، عاجزة عن قول السبب، لم تكن بحاجة إلى اجابة. كان يكفيها ما فعلته، لقد أسلمت نفسها.

عاد الكون إلى مكانه الصحيح بشكل تدريجي لم يتحرك ادوارد طوال ذلك الوقت، غير أن شيء مختلفا بدا عليه كان هناك رقة في عينيه، رقة بالغة الانسانية جدا

«كان رائعا أن أرى الحب في كل شيء، حتى في عيون شخص مصمم»

كانت قد بدأت في ارتداء ملابسها، عندما أحست بوجود شخص ثالث في القاعة

ماري كانت هناك لم تعرف فيرونيكا لم تعرف من جاءت بالتحديد، ومادامت رأت أو سمعت، ولكن بالرغم من ذلك لم تشعر بالعار أو الخوف فقط نظرت إليها من بعيد، كما يفعل الشخص مع آخر اقترب منه أكثر مما يجب. قالت

«فعلت ما اقترحتيه، وذهبت إلى البعيد، البعيد جدا»

لم تقل ماري شيئا، فقد كانت تعيش لتوها من جديد، لحظات مهمة من ماضيها، وكانت تشعر بشيء من الثقل ربما حان الوقت للعودة إلى العالم، أن تواجه الأشياء في الخارج، وأن تقول إن كل شخص يستطيع أن يكون عضوا في أخوية هائلة، حتى لو لم يدخل مستشفى عقلي من قبل.

مثل هذه الفتاة الشابة، مثلا، التي كان سببها الوحيد للدخول إلى فيليت لأنها حاولت أن تسلب حياتها من نفسها. لم تكن أبدا الذعر، الاكتئاب، والرؤى الصوفية، العصبية رغم أنها عرفت رجالا كثيرين، فإنها لم تختبر من قبل أعمق رغباتها الدفينة، وكانت النتيجة أن نصف حياتها ظل مجهولا بالنسبة إليها. لو أن كل شخص يستطيع أن يدرك ذلك وأن يعيش جنونه الداخلي فهل سيكون العالم مكانا سيئا؟ لا، سيكون الناس أكثر عدالة وأشد سعادة.

«لماذا، لم أفعل ذلك من قبل؟»

قالت ماري، وهي تنظر إلى ادوارد «ربما يريدك أن تعزفي له مزيد من الموسيقى أعتقد أنه يستمتع بها»

«سوف أفعل، لكن أجيبي على سؤالي أولا. لماذا لم أفعل ذلك من قبل؟ إذا كنت حرة، إذ، كنت أستطيع أن أفكر فيما أختار التفكير فيه، لماذا تجنبت دائما تخيل الأوضاع المحرمة؟».

«المحرمة؟ اسمعي، لقد كنت محامية وأنا أعرف الفرق بين كنت أيضا، كاثوليكية وكنت أرتل أجزاءا كاملة من الإنجيل عن ظهر قلب. ما الذي تعنيه بمحرمة؟».

اتجهت ماري نحوها لتساعدها في ارتداء معطفها.

«انظري في عيني ولا تنسي أبدا ما أنا على وشك أن أقوله لك. هناك نوعين من المحرمات، الأول يخص القانون البشري، والثاني يخص القانون الإلهي. لا تجبري أي شخص على علاقة جنسية، لأن ذلك يعتبر اغتصابا. ولا تمارسي الجنس مع الأطفال، لأن ذلك يعتبر خطيئة كل الخطايا. وباستثناء ذلك، انت حرة تماما. ثمة شخص آخر، دائما، يريد بالضبط ما تريدينه أنت»

لم يكن لدى ماري الصبر الكافي كي تعلم أشياء مهمة لشخص على وشك أن يموت. وبابتسامة، قالت لها «تصبحين على خير» ثم غادرت القاعة.

لم يتحرك ادوارد، انه كان ينتظر الموسيقى. كانت فيرونيكا بحاجة إلى مكافأته للمتعة الرهيبة التي منحها إياها، لمجرد وجوده معها ولكونه شاهدا على جنونها دون رعب أو اشمئزاز. جلست إلى البيانو وبدأت تعزف من جديد.

أحست بروحها خفيفة، ولم يعد الخوف من الموت يعذبها. لأن لقد جربت كل ما احتفظت به خفيا، حتى عن نفسها. جربت متع العذارى والعاهرات، الجارية والملكة، وبالخصوص الجارية أكثر من الملكة.

في تلك الليلة، حدثت المعجزة، فقد عادت إلى ذاكرتها كل الأغاني التي كانت تعرفها، وعزفت بهدف أن يجرب ادوارد متعة توازي كل تلك اللذة التي جربتها

عندما أشعل الضوء، فوجيء د.ايجور برؤية المرأة الشابة جالسة في غرفة الانتظار خارج مكتبه.

«الوقت مازال مبكر، وأنا مشغول بمواعيد طوال النهار»

قالت «أعرف أنه مازال مبكرا». واليوم لم يبدأ بعد غير أنني أحتاج التحدث لبعض الوقت. لوقت قصير فقط. أنا بحاجة إلى مساعدتك»

بدت ظلال سوداء تحت عينيها وعكس شعرها المتلبد الأعراض التقليدية لشخص قضى ليلة أرقا

قرر د. ايجور أن يدعوها إلى غرفته

طلب منها الجلوس، فيما أضاء الأنوار وفتح الستائر. سيبزغ الفجر بعد أقل من ساعة، وسيستطيع أن يوفر الكهرباء. كان ملاك الأسهم حريصين على تجنب التكاليف العالية، بغض النظر عن أي تكاليف طفيفة زائدة

نظر سريعا إلى مفكرته. أخذت زيدكا آخر صدمة انسولين وكان رد فعلها ايجابيا، يعني هذا أنها استطاعت النجاة من تلك المعالجة غير الآدمية. وحسنا فعل، في هذه الحالة بالذات، عندما طلب د.ايجور مجلس المستشفى بتوقيع بيان يتحمل فيه جميع المسئوليات المترتبة على ذلك.

بدأ في قراءة بعض التقارير، مريضان أو ثلاثة تصرفوا بعنف خلال الليلة الماضية من بينهم، كما جاء في تقرير الممرضة «ادوارد» لقد عاد إلى جناحه في حوالي الرابعة صباحاً ورفض تماماً أن يتناول أية حبوب منومة. لابد للدكتور ايجور أن يتصرف. أيا كانت فيليت متسامحة في الداخل، إلا أنه كان من الضروري الاحتفاظ بصورتها كمؤسسة محافظة وصارمة. قالت فيرونيكا

«لدي شيء مهم جداً أود أن أسألك إياه». غير أن د.إيجور تجاهلها، متناولا سماعته، بدأ يصغي إلى قلبها ورئتيها. اختبر ردود فعلها العصبية وكشف على

عندما انتهت فيرونيكا من الحديث ، ران صمت ثقيل على الطبيب والممرضة ، ونظرا إلى بعضهما البعض ، وغرق في ذلك ، مأخوذين بكل تلك الإمكانيات المحتملة في خلال أربعة وعشرين ساعة فقط، وما يمكن أن تقدمه

رد د. إيجور أخيراً .

«سوف أعطيك بعض المنبهات ، غير أنني لا أنصحك بأخذها سوف تبقيك يقظة ، غير أنها سوف تسلبك السلام الذي تحتاجين اليه حتى تجربي كل ما تودين أن تجربيه» .

كانت فيرونيكا قد بدأت تشعر بأنها مريضة، كلما كانوا يحقنونها الحقنة، كان شيئا سيئا يحدث داخل جسدها .

«إنك تبدين شاحبة جدا. ربما كان من الأفضل لك أن تذهبي إلى السرير وسوف نتحدث مرة أخرى في الغد .

شعرت مرة أخرى بأنها على وشك البكاء غير أنها سيطرت على نفسها

«لن يكون هناك من غد كما تعرف جيدا، أنا مرهقة يا دكتور إيجور مرهقة جدا ولذلك طلبت منك تلك الحبوب لقد قضيت الليل بطوله يقظة ، نصف ملتاعة ، ونصف قانعة ، أستطيع ان اسقط في نوبة هستيرية أخرى من الذعر، كما حدث لي بالامس ، لكن ما الفائدة ؟ مازال امامي اربعة وعشرون ساعة من الحياة ، وهناك اشياء كثيرة في انتظاري ، لذلك قررت أن اضع اليأس جانبا أرجوك ، يا دكتور إيجور دعني اعيش الوقت القليل المتبقي لي لأنك الاثنين نعرف أن غدا سيكون متأخرا جدا »

قال الطبيب : « إذهبي ونامي، وعودي إلى هنا عند الظهيرة، وحينها سوف نتحدث من جديد »

رأت فيرونيكا أنه ليس هناك من مخرج لها : « سوف اذهب وأنام ثم سأعود ، لكن هل يمكنني أن أتحدث إليك لدقائق أخرى ؟ »

«عليها أن تكون قليلة أنا مشغول جدا اليوم » .

«سوف أدخل في الموضوع مباشرة في الليلة الماضية، ولأول مرة ، مارست العادة السرية بدون أية محرمات على الإطلاق فكرت في كل الأشياء التي لم أجرؤ على التفكير فيها، وأخذت لذتي من أشياء كنت أجدها مخيفة أو مثيرة للغثيان من قبل »

اتخذ د. ايجور أكثر سماته المهنية لم يكن يعرف إلى أين يمكن أن تقود تلك المحادثة ولم يكن يريد أية مشاكل مع رؤسائه .

«اكتشفت أنني استعراضية ، أيها الطبيب أريد أن أعرف إذا كان لذلك أي دور في محاولتي الانتحار لقد كان هناك الكثير مما لم أعرفه في نفسي»

فكر . « علي فقط أن امنحها اجابة ليس هناك من حاجة إلى استدعاء الممرضة لكي تشهد هذه المحادثة ، وسوف اتجنب اية قضايا قانونية في المستقبل ذات علاقة بالتحرش الجنسي »

أجاب «نحن جميعا نريد أشياء مختلفة ، وأين أيضا ما الخطأ في ذلك؟»

« أخبرني أنت » .

«كل شيء فيه خطأ لأنه عندما يحلم الجميع، فإن قلة فقط هي التي تحقق أحلامها ، ذلك يصنع منا جميعا .. جبناء »

«حتى ولو كانت القلة على حق ؟ » .

« الشخص المحق هو فقط الأقوى في هذه الحالة ، رغم صعوبتها فإن الجبناء هم الاشجع ويستطيعون أن يتغلبوا وأن يفرضوا أفكارهم على الجميع » .

لم يرد د. ايجور بالمزيد .

«والآن ، رجاء اذهبي وارتاحي قليلا، إن لدي مرضى آخرين لأراهم إذا فعلت كما أقول ، سوف أرى ما أستطيع عمله حيال طلبك الثاني »

غادرت فيرونيكا الغرفة كانت مريضة الطبيب التالية هي زيدكا ، والتي عليها مغادرة المستشفى ، غير أن د. ايجور طلب منها الانتظار قليلا ، كان بحاجة الى تدوين بعض الملاحظات حول الحديث الذي تم للتو .

في رسالته حول الفيتريول عليه أن يضم فصلا طويلا عن الجنس . فهناك جذور للكثير من مظاهر العصابية والأمراض النفسية متأصلة في الجنس . كان يؤمن أن الفنتازيا هي دفقات كهربائية من المخ، التي إذا لم يتم تحقيقها فإنها تطلق طاقتها في أماكن أخرى .

خلال أبحاثه الطبية ، قرأ د. ايجور مواضيع ممتعة حول الانحراف الجنسي والسادية المازوشية، الشذوذ الجنسي، والجنس مع الجثث، الجنس مع الأطفال، التلصص الجنسي، كانت القائمة بلا نهاية

في البداية ، اعتبر هذه الاشياء امثلة على السلوك المنحرف في بعض الناس المشوهين والعاجزين عن عمل علاقات طبيعية وصحية مع شركائهم . غير أنه ، ومع تقدمه في الاحتراف في مهنته كطبيب نفسي وعبر احاديثه مع مرضاه ، اكتشف أن هناك قصة غير عادية عند كل شخص ليحكيها . كان مرضاه يجلسون على اريكة مريحة في مكتبه ، ويحدقون بشدة في الارضية ويبدأون في رسالة طويلة حول مايدعونه بالمرض

وكأنه ليس هو الطبيب، أو التوصيف الطبي

وكأنه ليس هو الطبيب النفسي المسئول عما يمكن عمله كوصفة طبية

يجد هؤلاء الناس المصابون خيالاتهم الفانتازية في قراءة الكتب الجنسية وكتب يدافع عن حق الجميع في الحصول على الارتعاشات الجنسية التي يريدونها طالما لا يتم خرق حقوق شركائهم

كم حلمت النساء اللواتي درسن في مدارس الراهبات بالاستيهامات الجنسية

رجال ببدل وربطات عنق ، موظفين كبار، ذكروا له عن الثروات التي صرفوها على

العاهرات الرومانسيات فقط حتى يلعقن أقدامهم . أولاد مغرمين بأولاد مثلهم فتيات يقعن في غرام زميلاتهن . أزواج يريدون مراقبة زوجاتهم وهن يمارسن الجنس مع غرباء ، نساء يمارسن العادة السرية في كل مرة يكتشفن فيها أن أزواجهم يرتكبون الزنا . أمهات يكتمن رغباتهن في أن يستبيحهن أول بائع يدق جرس الباب ، آباء عددوا المغامرات السرية ستشبه باسماء ، التي مارسوها خارج إطار الهيبة والحزم

أما الولائم الجنسية فيبدو أن الجميع على الأقل مرة في حياتهم ، أرادوا المشاركة في وليمة جنسية .

كما يتخيلها ، لابد أن تكون فوضوية تماماً وممتعة ، حيث يختفي شعور الامتلاك ، ولا يبقى سوى اللذة والفوضى

هل كان هذا هو أحد الاسباب الكثيرة لتسمم الكثيرين بالفيتريول ؟ الزيجات التي قننت الاحادية الجبرية في العلاقات الزوجية ، والتي عبر ذلك ، حسب الدراسات التي احتفظ بها د. إيجور بمعزل في مكتبه، تسببت في اختفاء الرغبة الجنسية في السنة الثالثة والرابعة من الحياة معا ، بعد ذلك تشعر الزوجة أنها مرفوضة ويشعر الرجال بأنهم في مصيدة ، ويبدأ الفيتريول او المرارة في التهام كل شيء

يتحدث الناس بصراحة أكثر مع الطبيب النفسي اكثر من الحديث مع قسيس لأن الطبيب لا يهددهم بالجحيم . من خلال عمله الطويل كطبيب نفسي استمع د. ايجور لكل مايمكن ان يخبروه به

أن يخبروه ، لأنهم نادرا ما كانوا يفعلون شيئا. وحتي بعد سنوات عديدة من المهنة فهو مازال يسأل نفسه لماذا كانوا خائفين جدا من أن يكونوا مغايرين

عندما حاول أن يعثر على السبب، كانت أكثر الردود «سوف يظن زوجي انني أتصرف كعاهرة» ، او لو كان رجلا : «إن زوجتي تستحق الاحترام »

والمناقشة عادة، تتوقف هناك. لم يكن هناك من فائدة ترجى من قول إن كل شخص له تكوين جسمي خاص ومختلف ، ومصير مثل بصمات الأصابع لا أحد يريد أن يصدق ذلك . كان خطيرا جداً أن يكون الشخص طليقا في السرير ، كان هناك دائما الخوف أن الآخر سيبقى عبدا لأفكاره المسبقة

«أنا لن أغير العالم، قال ، مستسلما ، طالبا من الممرضة إرسال مريضته بالاكتئاب سابقا ، زيدكا ، ولكنني على الأقل أستطيع أن أقول ما أفكر به في أطروحتي البحثية

شاهد ادوارد فيرونيكا تغادر مكتب الطبيب للاستشارة الطبية وكانت تشق طريقها الى الجناح . أحس بأنه يود ان يخبرها بأسراره ، وأن يفتح قلبه لها ، بنفس الصدق والحرية التي كانت ، في الليلة الماضية ، قد فتحت بها جسدها له

لقد كان احد اصعب الامتحانات التي مر بها منذ مجيئه إلى فيليت كمريض لانفصام الشخصية غير أنه نجح في أن يقوم ، وكان سعيد ، بالرغم من أن رغبته في العودة إلى العالم قد بدأت في استثارته

الجميع يعرف أن هذه الفتاة لن تستمر حتى نهاية الأسبوع .

ولهذا السبب بالتحديد ، سيكون جيد أن يشركها في قصته . لمدة ثلاثة أعوام، لم يتحدث إلا مع ماري وحتى معها لم يكن متأكدا تماما انها فهمته كأم، كانت ستفكر بالتأكيد أن والديه كانا على حق ، وأنهما أرادا له فقط ما هو لأفضل، وأن رؤاه حول الجنة بمثابة أحلام عبثية لرجل المراهقة وتماما خارج سياق العالم الواقعي ،

رؤى الجنة هذا بالضبط هو ما قاده الى السقوط في الجحيم وإلى مناقشات عقيمة لا تنتهي مع عائلته وإلى شعور قوي بالذنب أحس تجاهه بالعجز عن فعل أي شيء وقاده الى البحث عن ملجأ في عالم آخر لو لم يكن لماري كان سيبقى عائشا في حقيقة منفصلة

وظهرت ماري، لقد اهتمت بأمره وأشعرته بالحب من جديد شكرا لها ، استطاع ادوارد أن يعرف الأشياء التي تدور من حوله

منذ أيام قليلة مضت ، جلست امرأة شابة في مثل عمره الى البيانو لتعزف سوناتا ضوء القمر

شعر ادوارد مرة أخرى بانشغاله برؤى الجنة ولم يستطع أن يقول إن ذلك كان خطأ الموسيقى أو المرأة الشابة أو القمر أو الزمن الطويل الذي قضاه في فيليت .

لقد تبعها إلى جناح النساء ، ليجد طريقه مسدوداً بالممرضة .

« لا يمكنك الدخول إلى هنا إدوارد . إذهب الى الحديقة، إنه الفجر تقريبا وسوف يكون يوما جميلا » .

نظرت فيرونيكا إلى الخلف وقالت له برقة سوف أنام قليلا سوف نتحدث عندما استيقظ .

لم تعرف فيرونيكا لماذا ، غير أن هذا الرجل صار جزءا من عالمها ، أو القليل الذي تبقى منه .

كانت متأكدة أن ادوارد كان قادراً على فهم موسيقاها والإعجاب بموهبتها ، حتى لو لم ينطق بكلمة ، كانت عيناه تقولان كل شيء كما قالا في تلك اللحظة، على باب الجناح متحدثان عن أشياء لم تكن ترغب في الاستماع اليها

الرقة ، الحب .

«الحياة مع المرضى العقليين تسارع في تحويلي إلى مجنونة . ذوو الانفصام في الشخصية لا يشعرون بأشياء كهذه ، ليس تجاه كائنات بشرية أخرى »

أحست فيرونيكا بالرغبة في الالتفات اليه ومنحه قبلة، لكنها لم تفعل ، سترى الممرضة ذلك وتخبر د. ايجور ، و طبيب بالتأكيد لن يسمح لامرأة تقبل فصاميا بمغادرة فيليت .

نظر ادوارد إلى الممرضة كان انجذابه للفتاة أقوى مما كان يظن ، كان عليه أن يسيطر على نفسه

سوف يذهب ويسأل ماري النصيحة ، كانت هي الشخص الوحيد الذي شركها في أسراره ، سوف تخبره بلا شك بذلك الذي يود أن يسمعه أنه في مثل هذه الحالة ، العشق يكون خطير وبلا جدوى سوف تطلب ماري من ادوارد أن يتوقف عن تلك الرعونة وأن يعود كمريض عادي (ثم ستضحك ساخرة من كلماتها غير المنطقية) .

انضم الى بقية النزلاء في قاعة الطعام، أكل ماقدموه اليه ثم مضى إلى الخروج للنزهة الإجبارية في الحديقة وخلال « التشمس » (في ذلك اليوم كانت الحرارة اقل من الصفر) ، حاول الاقتراب من ماري ، لكنها بدت وكأنها ترغب في أن تترك لحالها لم تكن بحاجة إلى قول أي شيء ، كان ادوارد يعرف ما فيه الكفاية عن العزلة كي يحترم احتياجات الآخرين .

جاء نزيل جديد إلى ادوارد من الواضح انه لا يعرف احدا هناك بعد ، قال

« عاقب الله البشرية بالوباء غير أنني رأيته في الاحلام وقد بعث مني المجيء لانقذ سلوفينيا » .

بدأ ادوارد في الابتعاد عنه ، فيما استمر الرجل في الصراخ .

«هل تحسب أنني مجنون ؟ إذن اقرأ الانجيل . لقد ارسل الله بابنه الوحيد وها هو ابنه قد استيقظ من جديد » ..

غير أن ادوارد لم يستطع سماعه بعد ذلك . كان ينظر الى الجبال البعيدة ويتساءل عما يحدث له . لماذا يشعر بالرغبة في مغادرة المكان إذا كان قد وجد السلام الذي يتوق اليه؟ لماذا المخاطرة بجلب العار لأهله مرة أخرى، في الوقت الذي حلت فيه كل مشاكل العائلة ، بدأ يشعر بالانزعاج ، يروح ويجيء منتظرا

ماري كي تخرج من صمتها حتى يستطيعا التحدث ، غير أنها بدت بعيدة كما هي أبدا

كان يعرف كيف يهرب من فيليت بغض النظر عن مدى صرامة الأمن و الحراسة، إلا أنها كانت مليئة بالثغرات ، لمجرد أن الناس عندما يدخلون إلى فيليت تنتابهم الرغبة في مغادرة المكان على الجانب الغربي، كان هناك جدار يمكن تسلقه بيسر لاحتوائه على منعرجات مشي من الصوب وأي شخص يريد أن يتسلقه سيجد نفسه سريعا في الريف وبعد خمس دقائق ، على شارع يتجه شمالا إلى كرواتيا ، حيث الحرب قد انتهت ، الإخوان الذين كانوا صاروا اكثر اخوة ، ولم تعد الحدود محروسة مثل الماضي وبضربة حظ صغيرة يمكنه أن يكون في بلغراد خلال ست ساعات

كان ادوارد قد سبق له أن عبر ذلك الطريق عدة مرات غير أنه دائما يقرر العودة لأنه لم يكن قد استلم بعد الإشارة بالمضي في ذلك . تختلف الآن الأمور جاءت الاشارة أخيراً من امرأة شابة خضراء العينين وبنية الشعر ونظرة مذهلة لشخص يظن أنه يعرف مايريد

فكر ادوارد في تسلق الجدار بحيث لايرى أبدا في سلوفينيا من جديد غير أن الفتاة كانت نائمة لكنه بحاجة الى أن يودعها على الأقل .

عندما انتهى الجميع من « التشمس » وتجمعت الاخوية في القاعة ، انضم اليهم ادوارد

« ماذا يفعل الرجل المجنون هنا ؟ » سأل أكبر الأعضاء سنا في المجموعة

« دعه وشأنه ، قالت ماري ، على كل كلنا مجانين ايضا » .

ضحك الجميع وبدأوا في الحديث عن محاضرة اليوم الماضي كان السؤال هو، هل يمكن التأمل الصوفي أن يغير العالم فعلا ؟ قدمت النظريات ، كما كانت هناك

مقترحات ، مناهج ، أفكار معارضة ، نقد لمحاضرة ، وطرق لتحسين ما تم اختباره عبر قرون كثيرة

كان ادوارد متعباً من هذا النوع من المناقشات . أتقفل هؤلاء الناس على نواهم في مستشفى عقلي وخططوا لانقاذ العالم دون أن يتخذوا اية مجازفة لأنهم كانوا يعلمون أن في الخارج سيكونون موضع سخرية حتى لو كانت بعض أفكارهم عملية جداً . كل شخص له نظريته حول كل شيء يعتقدون ان حقيقتهم هي الوحيدة ذات الأهمية لقد قضوا نهارات وليالي ، أسابيع وأعوام يتحدثون ، رافضين قبول الواقع ، سيئاً أو جيداً ، توجد الفكرة فقط عندما يحاول شخص ما أن يضعها موقع التنفيذ .

ما هو التأمل الصوفي؟ من هو الله ؟ وإنه الانقاذ ، حين يكون العالم بحاجة الى منقذ ؟ لا شيء . إذ كان كل شخص هناك وخارج فيليت يستطيع ان يعيش حياته ويدع الآخرين يفعلون فإن الله سيكون موجود في كل لحظة في كل حبة خردل، في طرف سحابة هناك ثم يمضي في الدقيقة التالية . الله كان هناك غير أن الناس كانوا يؤمنون بأن عليهم المضي في البحث عنه ، لأنه كان يبدو بسيطاً جداً أن يقبلوا أن الحياة فعل ايمان حقيقي .

تذكر التمرين الذي سمعه في محاضرة المعلم الصوفي عندما كان في انتظار فيرونيكا لتعود إلى البيانو . ببساطة انظر الى زهرة . ماذا يحتاجون أكثر من ذلك؟

ولكن حتي بعد تجربة التأمل العميقة ، وحتى بعد الاقتراب من رؤى الجنة، ها هم هناك يناقشون يجادلون ، ينتقدون ويبنون النظريات .

التقت عيناه بماري اشاحت عنه بعيداً غير أن ادوارد كان مصمماً على إنهاء الموقف للأبد اتجه اليها وجذبها من ذراعها .

« توقف عن ذلك يا ادوارد ! »

يمكنه أن يقول «تعالي معي» غير أنه لم يرد أن يفعل ذلك أمام كل الناس الذين سيدهشون من نبرته . لأمر لذلك فضل أن يركع على ركبتيه وأن ينظر اليها يتوسل بما اضحكهم جميعاً . قال احدهم

« أصبحت قديسة بالنسبة اليه ياماري ، لابد أنه أثر جلسة تأمل البارحة » .

غير أن سنوات الصمت علمت ادوارد أن يتحدث بعينيه كان قادراً على صب كل صدقه فيهما . كما كان متأكداً تماماً أن فيرونيك استوعبت رقته وحبه ، كان يعلم أن ماري ستستوعب ألمه ورجاءه ، لأنه كان بحاجة إليها فعلاً

قاومت لمدة أطول قليلاً، ثم نهضت وامسكت بيده، وقالت «دعنا نذهب للنزهة انت منزعج »

ذهبا إلى الحديقة من جديد . وحالما كانا على مسافة آمنة، متأكدين من عدم سماع اي شخص لهما، كسر ادوارد الصمت قائلا

«لقد قضيت سنوات في فيليت لقد توقفت عن كوني مار عبي والدي ووضعت كل طموحاتي جانبا غير أن رؤى الجنة بقيت معي»

قالت ماري : « أعلم ، غالبا ما تحدثنا حول ذلك، وأعرف ما تعود اليه جيد حان الوقت للمغادرة »

نظر ادوارد الى السماء هل تحس ماري بمثل ذلك ؟ قالت : «وبسبب تلك الفتاة رأينا الكثير من الاشخاص يموتون هنا، دائما على حين غرة وعادة بعد أن يكونوا قد يأسوا تماما من الحياة . غير أن هذه هي المرة الأولى التي نرى فيها ذلك يحدث لشابة ، صغيرة جميلة ومعافاة تكمن بها طاقة كبيرة للحياة . فيرونيكا هي الشخص الوحيد الذي لا يرغب في البقاء في فيليت للأبد . وهذا يجعلنا نسأل ذواتنا . ماذا عنا ؟ ما الذي نفعله هنا ؟ »

« ثم في ليلة الأمس ، أنا أيضاً سألت نفسي ما الذي افعله في هذا المستشفى فكرت كم سيكون ممتعاً أن أكون هذه في الميدان ، اشترى التفاح وأتحدث حول الطقس ، من الواضح أنني كنت صارع أشياء كانت متسببة لزمن طويل مثل الفواتير غير المدفوعة ، المشاكل مع الحيوان ، صورة الناس المستهزئة الذين لا يفهمونني ، العزلة ، زحام الطفولي ، غير أن هذا كله جزء من الحياة ، على ما أظن ، و الثمن الذي تدفعه للتعامل مع هذه المشاكل الصغيرة، اقل بكثير من الثمن الذي تدفعه لكي لا تعترف بأنها تخصك . أنا أفكر في الذهاب إلى زوجي الساعة الليلة ، فقط لأقول له « اشكرك » ما رأيك ؟ »

« لا أعـرف هل تفكرين أن علي الذهاب الى منزل والدي لأقـول لهم الشيء نفسه ؟ »

«ممكن وأساسا كل شيء حدث في حياتنا كان خطأنا ، وحظوظ نحن فقط ، الكثير من الناس يمرون بنفس المشاكل التي مررنا بها ، غير أن ردود فعلهم مختلفة تماما عما لقد بحثنا عن المخرج الاسهل الحقيقة المنفصلة »

يعرف إدوارد أن ماري محقة

«أشعر بأنني بدأت أحيا من جديد ، يا إدوارد ، أشعر بالرغبة في ارتكاب الأخطاء التي وددت ارتكابها دوما غير أنني لم أملك الشجاعة لمواجهة تلك المشاعر من الذعر التي قد تعاودني التي مجرد وجودها سوف يرهقني فقط، لأنني أعلم أنها لن تتسبب في موتي أو وقوعي في الإغماء بسببها يمكنني أن أصنع صداقات جديدة وأن أعلمهم كيف يكونون مجانين ، أيضا حتى يصبحوا حكماء . سوف أعلمهم ألا يتبعوا دليل السلوك الجيد، ولكن عليهم أن يكتشفوا حياتهم هم ، رغباتهم ، مغامراتهم وأن يحيوا . سوف اقتبس من سحيليوس للكاثوليكيين ،

ومن القرآن للمسلمين ، ومن التوراة لليهود ، ومن رسطو للملحدين . لا أريد أن أعود محامية مرة أخرى ولكن يمكنني استخدام خبرتي لإلقاء محاضرات حول الرجال والنساء الذين عرفوا حقيقة وجودنا هذا والذين يمكن تلخيص كتاباتهم في كلمة واحدة : أحيوا إذا حييت سيحيا الله معك . إذا رفضت المجازفة سيتركك إلى السماء البعيدة وسيكون مجرد موضوع لبحثك الفلسفي . يعرف الجميع ذلك غير أن أحداً لا يغامر بالخطوة الأولى ، ربما خوفا من أن يدعى بالمجنون . على الأقل ، ليس لدينا مثل هذا الخوف يا إدوارد . لقد أصبحنا بالفعل من نزلاء فيليت».

« الشيء الوحيد الذي لا يمكننا فعله أن نرشح انفسنا لرئاسة الجمهورية فالمعارضة سوف تحرص على نبش ماضينا »

ضحكت ماري ووافقت

« إنني مرهقة من الحياة هنا . لا أعرف إذا كنت سأنجح في التغلب على مخاوفي غير أنني تلقيت ما فيه الكفاية من الاحوية ، والحديقة وفيليت والتظاهر بالجنون » .

« إذا فعلت ذلك ، هل ستفعلينه ، ايضا؟ »

« أنت لن تفعل ذلك » .

« لكنني كنت على وشك ذلك منذ دقائق مضت » ..

« لا أعـــرف . أنا مرهقـــة من كل هذا ، غـيـر أنني مـعـتـــادة عليــــه ايضـــا » .

« عندما اتيت إلى هنا وشخصت كفصامي قضيت اياما وشهورا في الحديث معي و لتأمل معي كإنسان كنت قد بدأت الاعتياد على الحياة التي قررت أن أقودها والواقع الآخر الذي اختلقته ، لكنك لم تسمحي لي بذلك .

لقد كرهتك أنثر ، غير أنني أحبك الآن. أريدك أن تغفري فيليت ، كما قد غادرت كوني المنفصل »

ومضت ماري دون أن تجيب

في المكتبة الصغيرة والتي نادرا ما تستخدم في فيليت ، لم يجد ادوارد القرآن أو ارسطو أو أي فلاسفة كانت ماري قد ذكرتهم غير أنه وجد بدلا من ذلك كلمات شاعر:

ثم قلت في قلبي ، كما يحدث للمعتوه

هل سيحدث ذلك حتى لي

اذهب إلى طريقك ، وكل خبزك بفرح

لأن الله قد قبل عملك .

احمل ثياب دائما بيضاء

ولا تدع الرأس بلا زينة

عش بسعادة مع الزوجة التي تحب

كل تلك الأيام من الحياة الفانية

التي منحه إياها تحت الشمس

كل تلك الأيام الفانية

لأن هذا نصيبك من الحياة .

وفي عملك الذي تعمله تحت الشمس،

امش في طريق قلبك

ووفق بصيرة عينيك

لكن عليك أن تعلم أنه من خلال تلك الأشياء سوف يجلبك الله إلى قضائه

ردد إدوارد بصوت عال

«سوف يجلبك الله إلى قضائه، وسوف أقول لفترة ما من حياتي، حتى أنظر إلى الريح، ونسيت أن أنسج، ولم أعش بفرح لم أشرب حتى الخمرة التي قدمها إلي غير أنني في يوم ما، حاكمت نفسي، وعدت إلى العمل أخبرت البشر عن رؤاي بجنة، كما فعل بوخ ، فان جوخ ، وفاجنر، سيموفن، إينشتاين ومجانين آخرين من قبلي «حسنا» دعه يقول إنني غادرت المستشفى لكي أتجنب رؤية فتاة تحتضر، وسوف تكون هناك في الجنة، وسوف تنتظرني »

قال الرجل المسئول عن المكتبة «ماذا تقول؟»

اجاب ادوارد «أريد مغادرة فيليت لدي أشياء لأفعلها »

قرع مسئول المكتبة الجرس، وبعد دقائق، ظهر ممرضان. كرر إدوارد منزعجا «أريد أن أغادر. أنا على ما يرام، دعوني فقط أتحدث مع د. إيجور»

غير أن الرجلين امسكا به حاول إدوارد أن يحرر نفسه من قبضة الممرضين، غير أنه كان يعرف أن ذلك بلا جدوى

«انت تمر بأزمة ، ابق هادئا الآن» قال أحدهما «سوف نرعاك»

بدأ إدوارد في المقاومة.

«دعوني أتحدث مع د. إيجور لدي الكثير لأخبره به، أنا متأكد أنه سوف يتفهم»

وراح الرجلان يسحبانه باتجاه الجناح

صرخ . «دعوني أذهب اتركوني أتحدث لدقيقة»

كان الطريق إلى الجناح عبر القاعة حيث مجتمع كل النزلاء راح إدوارد يقاوم وبدا المشهد محرجا

«دعوه يذهب ! إنه مجنون!»

قهقة البعض ، وضرب آخرون بأيديهم على الكراسي والموائد

«هذا مستشفى عقلي لا أحد يسمح له بالتصرف بالطريقة التي تتصرف بها».

همس أحد الممرضين للآخر .

«من الأفضل أن تروعهم وإلا فإن الحالة ستخرج تماما عن سيطرتنا»

«هناك طريقة واحدة فقط».

«لن تعجب د. إيجور»

«سوف يعجبه أقل لو بدأت هذه العصبة من المجانين في تحطيم مستشفاه الذي يحبه».

استيقظت فيرونيكا في ذعر، في عرق بارد ، تسرب ضجيج مرعب من الخارج وكانت بحاجة إلى السكون كي تستمر في نومها غير أن الضجيج استمر

نهضت من السرير وهي تحس بشئ من الدوار واتجهت إلى القاعة، في الوقت الذي كان إدوارد يسحب فيه بين أسرع المرضى الاخرين بحقنهم المخيفة صرخت «ماذا تفعلون ؟» .

«فيرونيكا!»

لقد تحدث الفصامي إليها نطق باسمها في مزيج من الدهشة والخجل، وحاولت أن تقترب، غير أن أحد الممرضين منعها من ذلك

«ماذا تفعلون؟ لست هنا لكوني مجنونة لا يمكنكم أن تعاملوني هكذا.»

استطاعت أن تدفع بالممرض بعيدا إنما واصل بقية النزلاء صراخهم والرفس بدا المشهد مروعا . هل يتوجب عليها الذهاب للبحث عن د. إيجور في الحال؟

«فيرونيكا» نادى اسمها مرة أخرى باذلا جهدا إنسانيا خارقا ، نجح إدوارد في الإفلات من الممرضين وبدلا من الهرب بعيدا ، وقف متجمدا مثلما كان في الليلة الماضية، في انتظار التحرك التالي.

اقترب أحد الممرضين ، غير أن إدوارد نظر إليه، مستجمعا كل قوته

«سوف أذهب معك أعرف إلى أين سوف تأخذني أنك تريد أن يعرف الجميع بذلك ، ولكن انتظر لدقيقة»

قرر الممرض أن الأمر يستحق المجازفة وأن كل شئ بدأ يعود إلى حالته الطبيعية . قال إدوارد لفيرونيكا

«أعتقد . أعتقد أنك تهمينني».

«أنت لا تستطيع التحدث . أنت لا تعيش في هذا العالم ، أنت لا تعرف أن اسمي هو فيرونيكا، أنت لم تكن معي ليلة الأمس، أرجوك قل لي إنك لم تكن هناك».

«بلى لقد كنت»

أخذت بيده كان المجانين يصرخون ، ويصفقون، ويصنعون إشارات مبتذلة

«لماذا يأخذونك؟»

«للعلاج»

«سآتي معك»

«الأمر لايستحق . سوف تصابين بالذعر، حتى لو أقسمت لك أنه غير مؤلم، فأنا لا أشعر بشئ، إنه أفضل من المهدئات لأنك تستعيدين حيويتك بشكل أسرع».

لم تع فيرونيكا ما يتحدث عنه . ندمت على إمساكها بيده وأرادت أن تفر من هناك بأسرع ما يمكن حتى تخفي شعورها بالعار، وألا ترى مرة أخرى الرجل الذي شهد كل تلك الأشياء الشاذة فيها ومع ذلك استمر يعاملها بكل رقة.

غير أنها تذكرت كلمات ماري أنها ليست بحاجة إلى أن تشرح نفسها وحياتها لأي شخص ولا حتى لهذا الرجل الذي يقف أمامها .

«سوف أصحبك»

ظن الممرضون أن هذا أفضل ، لم يعد الفصامي بحاجة إلي المزيد من السيطرة عليه ، كان سيذهب بمحض إرادته المرة

عندما وصلوا إلى الجناح، رقد إدوارد فوق السرير

كان هناك رجلان آخران في الانتظار يحملان آلة غريبة وحقيبة مليئة بشرائط من القماش

التفت إدوارد إلى فيرونيكا، وطلب منها الجلوس فوق السرير ، «بعد دقائق ستنتشر الحكاية في المدينة ويهدأ الناس من جديد، لأنه حتى الأكثر جنونا يشعر بالذعر . أي شخص جرب هذا يدرك أنه ليس بالسوء الذي يبدو عليه»

استمع الممرضون إلي المحادثة ولم يصدقوا كلمة مما قالها الفصامي لابد أنه يؤلم بشدة، ولكن من يدري ماذا يدور داخل رأس رجل مجنون؟ الشيء العاقل الوحيد الذي قاله المجنون كان حول الخوف . «سوف تتداول القصة سريعا في المدينة وسيسود الهدوء»

قال أحدهم «وقت سريع نهض إدوارد من جديد وبشروا حاشية من المطاط تحته ، «تستطيع أن تتمدد»

أطاع كان هادئا بشكل مثالي، وكان كل ما سوف يحدث مجرد روتين عادي ربط الممرضون بعض الشرائط القماشية حول جسد إدوارد ووضعوا قطعة من المطاط داخل فمه

«نحن نفعل ذلك حتى لا يعض بالخطأ على لسانه» قال أحد الرجال لفيرونيكا، راضيا عن نفسه لإعطائها بعض المعلومات التكنولوجية كنوع من التحذير

وضعوا الآلة الغريبة وهي ليست أكبر من علبة أحذية، مع بعض الأزرة وثلاثة مقاييس تحكم عليها - فوق كرسي بقرب السرير . وأخرج اثنين من الأسلاك الكهربائية من الجزء العلوي قام بتوصيلهما بما يبدو وكأنه سماعات أذن

وضع أحد الممرضين سماعات الأذن على عمارتي إدوارد وبدأ الآخر ينظم الآلة حرك بعض الأكر فيها، الآن إلى اليمين ، الآن إلى اليسار رغم عدم قدرته على الكلام لأن قطعة المطاط كانت في فمه ، أبقى إدوارد عينيه ثابتتين عليها، وكان يبدو أنه يقول

«لا تقلقي ، لا تخافي»

قال الممرض الذي يتحكم في الآلة « لقد جهز على ١٣٠ واط لمدة ٠,٣ من الثانية ، ها نحن نبدأ»

ضغط على الزر واشتغلت الآلة، في تلك اللحظة ، اتسعت عيناه إدوارد ، واهتز جسده فوق السرير بغضب شديد، لولا وجود الأربطة حوله لكان قد كسر عموده الفقري

صرخت فيرونيكا : « كفوا »

قال الممرض مزيلا «سماعات الأذن» عن عمارتي إدوارد ، « لقد فعلنا » ورغم ذلك فإن جسد إدوارد ظل يهتز بشدة ورأسه يتراقص من جنب إلى آخر بعنف شديد اضطر أحد الرجال للإمساك به كي يهدأ وضع الممرض الآخر الآلة في الحقيبة وجلس ليدخن سيجارة

استمر المشهد لمجرد دقائق بدا جسم إدوارد يعود إلى طبيعته غير أن الانتفاضات العصبية عاودته فجأة وحاول الممرض أن يضاعف جهوده حتى يحتفظ برأس إدوارد ثابت

بعد فترة ، هدأت التقلصات العصبية ، حتى توقفت تماما كانت عينا إدوارد مفتوحتين على اتساعهما، وقام أحد الممرضين بإغماضهما، كما يفعل المرء مع الميت

ثم أزال قطعة المطاط من فم إدوارد ، فك وثاقه ووضع الأربطة في الحقيبة مع الآلة

قال للفتاة والتي لم تعد تصرخ، وتبدو مذهولة لما رأته:

« إن تأثير الصدمة الكهربائية يستمر لمدة حوالي الساعة »

«كل شئ على ما يرام، سيعود إلى طبيعته سريعا وسيصبح أكثر هدوءا أيضا».

ومع أن بدأ تأثير الصدمة الكهربائية يتلاشى ، حتى شعر إدوارد بما جربه من قبل. انسحب نظره الطبيعي وكأنه شخص ما يسدل الستائر، حتى يختفي كل شئ تماما. ليس هناك من ألم أو عذاب، غير أنه سبق وأن رأى آخرين يخضعون للصدمة الكهربائية ويعلم مدى الروع الذي سببه ذلك المشهد في النفوس.

أحس إدوارد بالسلام الآن. إذا كان قبل دقائق قد شعر بعواطف جديدة في قلبه، وإذا كان قد بفهم أن الحب كان شيئاً مختلفاً عما منحه إياه أبواه ، فإن الصدمة الكهربائية أو المعالجة النفسية الاليكترونية (م. ن. أ) كما يفضل المتخصصون دعوتها سوف تعيده إلى طبيعته

كان التأثير الأساسي لـ م. ن. أ هو إتلاف الذاكرة القريبة. لن يكون هناك من تغذية لأحلام إدوارد المستحيلة ولن بمكنه النظر بأمل إلى مستقبل غير موجود وعلى أفكاره أن تبقى ملتفتة إلى الماضي وإلا فإنه سيبدأ في التوق إلى العودة للحياة.

بعد ساعة توجهت زيدكا إلى الجناح الذي كان مهجورا إلا من سرير واحد، حيث يستلقي رجل وكرسي تجلس فوقه امرأة.

عندما اقتربت ، ورأت المرض عاود المرأة مرة أخرى ، وأن رأسها المطأطئ كان ينحرف إلى اليمين قليلا تحركت زيدكا لطلب الاستغاثة ، غير أن فيرونيكا نظرت إلى الأعلى و قالت:

«أنا على ما يرام حدثت لي نوبة أخرى غير أنها مرت الآن».

ساعدتها زيدكا برقة كي تقودها إلى المرحاض قالت فيرونيكا إنه مرحاض رجالي ، « لا تقلقي أنه خال »

أزالت قميص فيرونيكا الملوث عنه ووضعته فوق المغسلة ثم خلعت سترتها الصوف وأعطتها لفيرونكا

«احتفظي به . جئت فقط لأودعك»

بدت الفتاة بعيدة وكأنها فقدت كل الاهتمام بحياتها. قادتها زيدكا إلى الكرسي حيث كانت تجلس من قبل «سيستيقظ إدوارد قريبا . قد يعاني من صعوبة تذكر ما حدث غير أن ذاكرته ستعاوده سريعا. لا تخافي إذا لم يتذكرك في البدء».

قالت فيرونيكا «لن أخاف لأنني لا أتذكر نفسي».

سحبت زيدكا كرسيا وجلست بقربها . لقد أمضت وقتا طويلا في فيليت ، ولن يكلفها شيئا إذا قضت بعض الدقائق الإضافية في صحبة فيرونيكا

«هل تتذكرين أول لقاء لنا ؟ لقد حكيت لك قصة كي أحاول أن أشرح لك العالم كما نراه بدقة . فكر الجميع ان الملك كان مجنونا ، لأنه أراد يرسي النظام الذي لم يعد موجودا في أذهان مواطنيه. هناك أشياء في الحياة مهما حاولنا تقليب النظر فيها تبقى صالحة لكل شخص، مثل الحب ، وعلى سبيل المثال»

لاحظت زيدكا تغيرا في عيني فيرونيكا، فقررت أن تواصل حديثها

«سوف أقول لو أن شخصا كان لديه وقت قصير ليعيش وأنه قرر أن يجلس على مقربة من سرير ، ليراقب رجلا نائما ، فلابد أن يكون ذلك هو الحب، وسأواصل أنه إذا كان خلال ذلك الوقت أصيب ذلك الشخص بنوبة قلبية و غير أنه جلس في صمت حتى يبقى قريبا من ذلك الرجل سوف أقول إن حبا كهذا لديه الكثير من البذور كي ينمو»

وقالت فيرونيكا «يمكن أن يكون ذلك هو اليأس ، محاولة مذلولة لإثبات أنه بعد كل شئ ، لم تعد هناك أسباب للصراع تحت الشمس ، لايمكن أن أموت قد وقعت في الحب مع رجل يعيش في عالم آخر»

«كلنا نعيش في عوالمنا الخاصة لكنك إذا ما حدقت في السماء ذات ليلة سوف ترين أن كل العوالم المختلفة في الأعلى هناك تتجمع لعمل نظام شمسي ، مجرات ، وكون» نهضت فيرونيكا وذهبت إلى إدوارد وبرقة مسحت على شعره كانت ممتنة لوجود شخص تتحدث اليه.

« منذ زمن بعيد عندما كنت طفلة ، وكانت أمي ترغمني على تعلم البيانو ، قلت لنفسي إنني سأستطيع أن أعزفه جيدا فقط عندما أقع في الحب ، في الليلة الماضية ولأول مرة في حياتي شعرت أن النوت الموسيقية تخرج من أصابعي وكأن لا سيطرة لي على ما أفعله كنت قوي ما تقودني لتأليف المقطوعات و الألحان لم أكن أعرف أن باستطاعتي عزفها لقد منحت نفسي للبيانو لأنني منحت نفسي للتو لهذا الرجل دون أن يلمس حتى شعرة من رأسي لم أكن نفسي بالأمس ، لا عندما منحت نفسي للجنس، ولا حين عزفت البيانو ومع ذلك أظن أنني كنت نفسي الحقيقية» هزت فيرونيكا رأسها «لاشئ مما أقوله يبدو منطقيا»

تذكرت زيدكا تجاربها في الفضاء مع كل تلك الكائنات الضمية في أبعاد مختلفة أرادت أن تخبر فيرونيكا حول ذلك، غير أنها خشيت أن تزيد من تشوشها

«قبل أن تقولي من جديد إنك على وشك الموت اريد أن أخبرك بشئ : أن هناك أشخاصا يقضون حياتهم بكاملها بحثا عن لحظة كتلك التي عشتها ليلة الأمس غير أنهم لا يصلون إلى ذلك ، لهذا ، إذا كنت ستموتين الآن فسوف تموتين بقلب مشبع بالحب»

نهضت زيدكا .

« ليس لدي ما تخسرينه كثير من الناس لايسمحون لأنفسهم أن يعشقوا لهذا السبب بالتحديد ، لأن هناك الكثير المجازفة به ، كثير من المستقبل وكثير من الماضي ، في حالتك هناك الحاضر فقط »

اقتربت من فيرونيكا ومنحتها قبلة

«إذا مكثت هنا لمدة أطول فلن أغادر على الإطلاق لقد شفيت من اكتئابي غير أنه في فيليت تعلمت أن هناك أنواعا أخرى من الجنون اريد أن أحملها معي وأن أبدأ النظر إلى الحياة بعيوني ، عندما أتيت إلى هنا كنت مكتئبة بشدة الآن أنا فخورة بأن أقول إنني مجنونة ، في الخارج سوف أتصرف تماما كما يفعل الآخرون ، سوف أذهب للتسوق في السوبر ماركت وسأتبادل الأحاديث الصغيرة مع الأصدقاء وسوف أضيع وقتا ثمينا في مشاهدة التليفزيون ، غير أنني أعرف أن روحي حرة وأنني استطيع أن أحلم وأن أتحدث مع عوالم كانت قبل مجيئي إلى هنا ، خارج الوجود في خيالي

سوف أسمح لنفسي بعمل بعض الأشياء المجنونة فقط حتى يستطيع الناس أن يقولوا : لقد خرجت لتوها من فيليت غير إنني أعرف أن روحي كاملة ، لأن حياتي لها معنى سوف أستطيع النظر إلى الغروب وأؤمن أن الله وراء ذلك وعندما يزعجني شخص ما سأخبره بما أفكر به لن أقلق مما قد يفكر بي لأن الجميع سيقول : لقد تم إطلاق سراحها للتو من فيليت ، سوف أنظر إلى الرجال في الشارع ، مباشرة في عيونهم لن أحس بالخجل لأنني أشعر أنني مرغوبة وبعد ذلك مباشرة وسوف أذهب إلى متجر للبضائع المستوردة و شتري أفضل أنواع النبيذ التي تستطيع نقودي أن تسمح بها وسوف أشرب ذلك النبيذ مع زوجي الذي أعشقه لأنني أريد أن أضحك معه من جديد

سوف يقول وهو يضحك: «أنت مجنونة» ولسوف أقول «بالطبع أنا كذلك ، لقد كنت في فيليت ألا تتذكر لقد حررتني الجنون الآن يا زوجي العزيز، يجب أن تأخذ عطلة في كل عام ، وتجعلني أتسلق بعض الجبال الخطرة لأنني أريد أن أجازف بكوني حية.

سيقول الناس «لقد أطلق سراحها من فيليت للتو وها هي تجعل من زوجها مجنونا، أيضا «وسوف يلاحظ أنهم محقون وسيشكر الله لأن زواجنا يبدأ من جديد لاننا كلنا كنا مجانين مثل أولئك الذين ابتكروا الحب» .

عاودت زيدكا الجناح مرددة لحنا لم تسمعه فيرونيكا من قبل

لقد أثبت اليوم أنه كان مرهقاً ، غير أنه مجد ، كان د. ايجور يحاول أن يحتفظ برباطة جأشه ورزانته كعالم ، غير أنه بالكاد استطاع أن يسيطر على حماسه . إن الاختبارات التي كان يجريها لايجاد علاج لتسمم الفيتريول كانت تأتي بنتائج مدهشة .

قال لماري التي دخلت دون أن تقرع الباب . «لاموعد لديك اليوم»

«لن يستغرق الامر طويلا كنت أود فقط أن آخذ رأيك في أمر ما »

«اليوم ، الجميع يريدون رأيي» فكر د. ايجور ، متذكراً سؤال الفتاة الشابة حول الجنس

«لقد أعطى إدوارد للتو صدمة كهربائية»

«علاج نفسي اليكتروني رجاء استخدمي الكلمة الصحيحة وإلا فإننا سنبدو وكأننا عصبة من الهمج» حاول د. ايجور أن يخفي استغرابه ، ولكن فيما بعد سوف يذهب ليعرف من الذي أعطى مثل ذلك الأمر «إذا أردت رأيي في الموضوع فدعني أوضح أن الـ (م ن أ) لم تعد تستخدم كما كانت في الماضي. لكنها خطيرة»

كانت في الماضي خطيرة جدا ، لم يكونوا يعرفون الشحنة الكهربائية المحددة للاستخدام وأين يضعون الأسلاك الكهربائية لذا مات الكثير بسبب النزيف الدماغي خلال المعالجة غير أن الأشياء تغيرت اليوم يتم استخدام الـ (م ن أ) بحرص تقني أفضل وله ميزة إحداث فقدان للذاكرة مباشر، متجنبين التسمم الكيميائي الذي تحدثه المهدئات لفترة طويلة اقرأي الدوريات النفسية «لا تخلطي بين (م ن أ) والصدمات الكهربائية المستخدمة في التعذيب في امريكا الجنوبية. حسنا ، ها قد سمعت رأيي الآن يجب أن أعود إلى العمل» .

تتحرك ماري .

«لم يكن هذا هو ما أتيت لأسألك عنه، أريد أن أعرف إذا كان بإمكاني المغادرة»

«تستطيعين متى شئت وأن تعودي متى أردت، لأن زوجك ثري بما فيه الكفاية ليضعك في مكان مكلف كهذا، عليك أن تسأليني هل شفيت؟ وسيكون جوابي هو سؤال آخر: شفيت من ماذا؟ سوف تقولين: شفيت من ذعري، من نوبات الذعر. وسوف أقول حسنا يا ماري أنت لم تعاني من ذلك في الواقع منذ ثلاثة أعوام مرت»

«إذن لقد شفيت»

«بالطبع لا. لم يكن هذا هو مرضك في الأبحاث التي أكتبها للأكاديمية السلوفينية للعلوم (لم يرد ايجور الخوض في تفصيل فيتريول) أحاول أن أدرس ذلك الذعر بالسلوك الإنساني الطبيعي ولكثير من الأطباء الذين عملوا أبحاثا مماثلة وتوصلوا إلى استنتاج أن الطبيعية هي موضوع للإتفاق عليها أي أن الكثير من الناس يفكرون أن أمرا ما هو الصحيح، وهكذا يتحول الأمر إلى صحيح

بعض الأشياء محكومة بالمنطق البديهي: وضع أزرة في القميص من الأمام هو موضوع منطقي لأنه سوف يكون من الصعب جدا أن تزريره من الجنب ومستحيل من الخلف

«غير أن أمورا أخرى تصبح تصبح لأن عددا أكبر من الناس يؤمن أنها الطريقة المثلى لتكون عليها سوف أعطيك مثالي هل تساءلت يوما ما لماذا مفاتيح الآلة الكاتبة منسقة بطريقة معينة؟».

«كلا لم أفعل»

«إنه نسق الحروف في الصف الأمامي من المفاتيح. ذات مرة تساءلت لماذا هي هكذا ووجدت الإجابة: أول آلة ابتكرها كريستوفر شولز في عام ١٨٧٣ من

أجل تحسين الخط غير أنه كانت هناك مشكلة إذا طبع الشخص بسرعة كبيرة، فإن المفاتيح تتصلب معا وتتوقف عمل الآلة. غير أن شولز صمم نظاما للمفاتيح يجبر الطابع على الطباعة ببطء أكثر».

«لا أصدق ذلك»

«لكنه حقيقي لقد حدث أن استخدم الريمينجتون الذين كانوا أصحاب مصانع لآلات الخياطة في ذلك الوقت نظام مفاتيح لآلات طباعتهم الأولى. وهذا يعني أن عددا أكبر من الناس كانوا مجبرين على تعلم ذلك النظام وبدأت شركات أكثر في صناعة تلك المفاتيح حتى أصبح النموذج المتاح. ولكي أعيد ذلك المفاتيح على الآلات الطابعة والكومبيوترات، كانت قد صممت حتى يستطيع الناس أن يطبعوا بشكل أكثر بطئا، لا أسرع، هل تفهمين ذلك؟ إذا ما غيرت الحروف فإنك لن تجدي أي شخص يقبل على شراء منتجك

عندما رأت لوحة المفاتيح للمرة الأولى تساءلت ماري لماذا لم تكن الحروف مرتبة بشكل منظم حسب النظام الأبجدي لها وغير أنها سرعان ما نسيت الموضوع لقد افترضت أن ذلك هو أفضل طرح ممكن لكي يستطيع الناس الطباعة بسرعة أكثر.

سأل د. ايجور: «هل زرت فلورنسا يوما؟»

«لا».

«عليك أن تذهبي إلى هناك. إنها ليست بعيدة، لأنك ستجدين هناك مثالي الثاني، في كاتدرائية فلورنسا توجد ساعة حائط رائعة صممها باولو يوسيلو في عام ١٤٤٣. الشيء المثير للفضول حول تلك الساعة أنه بالرغم من محافظتها على التوقيت مثل أية ساعة أخرى لكن عقاربها في وضع معاكس لاتجاه أية ساعة عادية»

«وما علاقة كل ذلك بمرضي؟».

«سأصل إلى ذلك الآن. عندما صمم ساعته، لم يكن باولو يحاول أن يكون مبتكرا. الواقع أنه في ذلك الزمن، كانت هناك ساعات حائط كهذه وساعات أخرى لها عقارب في الاتجاه المألوف لنا اليوم. ولسبب مجهول، ربما لأن الدوق ساعة حائط في الاتجاه الذي نعرفه اليوم بالاتجاه الصحيح لعقارب الساعة فقد تحول ذلك إلى الاتجاه الصحيح، وهكذا في ساعة باولو في ذلك الزمن تبدو الآن ضربا من الجنون».

توقف د. إيجور، غير أنه كان يعلم أن ماري تتوقع تبريره، «وهكذا، دعينا نعود إلى مرضك. لكل كائن بشري ميزاته، وميوله، وأشكاله من المتعة والرغبة للمغامرة، غير أن المجتمع يفرض دائما علينا طريقة جماعية للسلوك، والناس لايتوقفون عن التساؤل لماذا علينا أن نسلك بهذه الطريقة، غير أنهم يقبلون بذلك، كما قد قبل الطباعون أن وضع المفاتيح هي الطريقة الوحيدة الممكنة. هل قابلت شخصا طوال حياتك تساءل لماذا تتحرك عقارب الساعة في اتجاه محدد وليس غيره؟».

«كلا».

«لو أن شخصا تساءل ستكون ردود الفعل التي يتلقاها، «أنت مجنون»، وإذا أصر الشخص، سوف يحاول الآخرون إيجاد تبرير ما، غير أنهم سرعان ما سيغيرون الموضوع، لأنه ليس هناك سبب وجيه لذلك سوى ماطرحته عليك. إذن دعينا نعود للسؤال، ماذا كان هو السؤال من جديد؟»

«هل شفيت؟».

«كلا، أنت شخص مختلف، غير أنك شخص يريد الشيء نفسه الذي يريده كل شخص آخر، وهذه، في رأيي، علة خطيرة».

«وهل الرغبة في الاختلاف علة خطيرة؟».

«هي كذلك إذا أجبرت نفسك أن تكوني مثل الآخرين، إنها تسبب العصابية، الاضطراب النفسي والبارانويا، إنها تشويه لطبيعة الكائن، وهي مخالفة للقانون الإلهي، لأنه في عالم الخشب والغابات، لم تخلق ورقة شجر واحدة تشبه غيرها، غير أنك تظنين أنه من الجنون أن تكوني مختلفة ولذلك اخترت أن تعيشي في ڤيليت، لأن كل شخص هنا يختلف، ولذلك فأنت تبدين مثل الآخرين، هل تفهمين ذلك؟».

هزت ماري رأسها موافقة.

«إن الناس يذهبون ضد الطبيعة لأنهم يفتقدون شجاعة الاختلاف والمغايرة، وهكذا يبدأ الجسد في بث الڤيتريول، أو المرارة فيه كاسم متداول لذلك السُم المتعارف عليه».

«وما هو الڤيتريول؟».

انتبه د. إيجور أنه خاض في الموضوع أكثر مما يقصد وقرر أن يغير موضوع الحديث.

«إن ذلك ليس مهما، ما أعنيه هو: كل شيء يشير إلى أنك لم تشفي».

لقد كان لماري خبرة سنوات طويلة في محاكم القضاء وقررت أن تستخدم خبرتها الآن، كانت مناورتها الأولى هي أن تتظاهر بقبول وضعها، حتى تسحبه إلى جانب آخر من النقاش - «أتفق معك، كان سبب وجودي هنا مقبولا جدا. كنت أعاني من نوبات الهلع وبسبب بقائي هنا كان تجريبيا جدا، لم أكن أستطيع مواجهة فكرة طريق آخر لحياتي، بدون عمل أو زوج. أنا أوافقك لقد فقدت القدرة على بدء حياة جديدة، حياة علىّ الاعتياد عليها من جديد، بل سأواصل إلى أبعد من ذلك وأقول إنني أوافق أنه في مستشفى عقلي، وحتى في ظل وجود الصدمات الكهربائية - أسفة الـ (م ن أ) كما تفضل أن تدعوها - والمواعيد الصارمة،

ونوبات الهستيريا التي تنتاب بعض المرضى، فإن القوانين أكثر سهولة لقبولها من تلك القوانين في العالم، كما تقول، الذي يبذل كل جهده ليجبرك على القبول»

«غير أنني في الليلة الماضية سمعت امرأة تعزف البيانو، لقد عزفت بشكل لم، نادرا ما شهدته من قبل، وفيما كنت أستمع إلى تلك الموسيقى، فكرت في أولئك الذين عانوا وتعذبوا حتى يؤلفوا تلك السوناتات، والقطع الموسيقية، كم كانوا يبدون مجانين وكم عانوا على مستوى مشاعرهم عندما عرضوا مقطوعاتهم، التي كانت بعد كل شيء مختلفة، لأولئك الذين يتحكمون في الذوق الموسيقي كم، فكرت في الصعوبات والإهانات التي تعرضوا لها لإيجاد ممول للأوركسترا الجديدة التي ابتدعوها، وفكرت في الجماهير الساخطة التي لم تكن معتادة على مثل تلك المعزوفات الجديدة آنئذ .

«إن الأسوأ وضعا من أولئك المؤلفين الموسيقيين وعذاباتهم، أن تلك الفتاة التي كانت تعزف الموسيقى بمثل تلك الروح مع ذلك وهي تعرف أنها سوف تموت، وهل أنا لن أموت؟ أين هي روحي التي يمكنها أن تعزف موسيقى حياتي الخاصة بكل ذلك الحماس؟»

راح د. إيجور يستمع إليها في صمت، كان يبدو أن كل أفكاره بدأت تجني ثمارها، غير أن الوقت كان مبكرا للتأكد من ذلك

سألت ماري مجددا

«أين هي روحي؟»

«في الماضي فيما أردت أن تكون حياتي، لقد تركت روحي رهينة لتلك اللحظة في حين أنني كنت أمتلك البيت، والزوج، والعمل الذي أردت أن أتركه غير أنني لم أمتلك الشجاعة الكافية لذلك»

«لقد كانت روحي في ماضيّ الشخصي، غير أنها اليوم هنا، أستطيع أن أشعر بها من جديد في جسدي، متوهجة وممتلئة بالحماس، لا أعرف ما الذي يمكنني أن أفعله، الشيء الوحيد الذي أعرفه أنه استغرق مني ثلاثة أعوام كي أدرك أن الحياة كانت تدفعني في اتجاه، لم أرغب في أن أمضي فيه»

قال د. إيجور

«أعتقد أنني أستطيع أن أرى علامات التحسن»

«لستُ في حاجة إلى أن أسأل حول إمكانيتي مغادرة فيليت . أستطيع أن أمشي من خلال البوابة ولا أعود أبدا، غير أنني كنت في حاجة أن أقول كل ذلك لشخص ما، وها أنا أقوله لك، إن موت تلك الفتاة جعلني أفهم حياتي الشخصية»

ضحك د. إيجور

«أعتقد أن علامات التحسن هذه بدأت في التحول إلى معجزة شفاء، ماذا تنوين أنت فاعلة؟»

«سوف أذهب إلى السلفادور وأعمل مع الأطفال هناك»

«أنت لست في حاجة إلى الذهاب إلى هناك»

«إن سراييفو تبعد مائتي كيلومتر من هنا فقط، لعل الحرب قد انتهت، غير أن المشكلات مازالت مستمرة»

«إذن سوف أذهب إلى سراييفو»

أخرج د. إيجور نموذجا من درج مكتبه وملأه بحرص شديد، ثم نهض واصطحب ماري إلى الباب وقال

«حظ سعيد»

ثم عاد مباشرة إلى مكتبه وأغلق الباب، لقد حاول جاهدا ألا يقع في الإعجاب بمرضاه، غير أنه لم ينجح في ذلك أبدا ، سوف تفتقد ماري بشدة في فيليت

حينما فتح إدوارد عينيه، كانت الفتاة لاتزال هناك، بعد جلساته الأولي من الصدمات الكهربائية، كان عليه أن يكافح طويلا حتى يتذكر ما حدث، غير أن ذلك كان هو الهدف الدقيق من تلك الجلسات، إنه خلق حالة مصنعة لفقدان ذاكرة جزئى يسمح للمريض أن ينسى فيها المشكلات التى يعانى منها حتى يستعيد هدوءه.

غير أنه، كلما زادت جلسات الصدمات الكهربائية، كلما قصرت فترات تأثيرها، لقد تذكر الفتاة على الفور.

«فيما كنت نائما، قلت شيئا حول رؤى الجنة»، قالت له وهى تمس على شعره...

«رؤى الجنة؟ نعم، رؤى الجنة»، نظر إدوارد إليها، أراد أن يخبرها بكل شيء.

فى تلك اللحظة دخلت الممرضة بالحقنة، وقالت لفيرونيكا

«عليك أن تأخذى هذه الآن، إنها أوامر د. إيجور».

«لقد أخذت بعض الحقن اليوم، ولا أريد المزيد»

«والأكثر من ذلك أن ليس لى رغبة فى مغادرة هذا المكان، أيضا، أننى أرفض إطاعة أية أوامر، وقوانين ولن تجبرونى على فعل أى شيء».

بدت الممرضة معتادة على مثل تلك ردود الفعل.

«إذن، أخشى أن علينا أن نخدرك بالقوة»،

قال إدوارد: «إننى فى حاجة إلى التحدث معك».

«خذى هذه الحقنة».

لفت فيرونيكا ذراع سترتها، وقامت الممرضة بحقنها بالمخدر، قالت

«ها أنت فتاة طيبة، الآن لماذا لاتغادران أنتما الاثنان هذا الجناح الكئيب وتخرجان للتنزه فى الخارج».

قال إدوارد، فيما كانا يتنزهان في الحديقة

«أنت خجلة مما حدث ليلة الأمس»

«فعلا، أما الآن فإنني فخورة بذلك، أريد أن أعرف حول رؤى الجنة تلك، لأنني اقتربت جدا من رؤيتها بنفسي».

قال.

«إنني في حاجة إلى النظر إلى البعيد، خارج مبنى فيبيت»

«افعل ذلك، إذن»

نظر إدوارد خلفه، ليس إلى جيران الأجنحة أو الحديقة حيث يتمشى النزلاء في صمت، ولكن إلى شارع في قارة أخرى، في أرض إما أنها كانت تمطر فيها بوحشية أو لا تمطر على الإطلاق.

كان باستطاعة إدوارد أن يشم تلك البلاد، إنه موسم الجفاف، يستطيع أن يحس بالغبار في فتحتي منخريه وقد منحه الشعور بذلك متعة رائعة، لأنك إذا استطعت أن تشم التراب فأنت مازلت حيا، كان يقود عجلة مستوردة، وهو في السابعة عشرة من عمره، وقد غادر لتوه الجامعة الأمريكية في برازيليا، حيث كان كل أبناء الدبلوماسيين الآخرين يدرسون.

لقد كره برازيليا، غير أنه عشق البرازيليين، كان والده قد عين سفيرا ليوغسلافيا منذ عامين، في وقت لم يحصر على بال أحد ذلك الانقسام الدموي الذي حدث في بلدهم، كان ميلوسوفيتش مازال في السلطة، رجال ونساء تعايشوا مع اختلافاتهم، وحاولوا أن يجدوا سلاما أكبر من صراعاتهم الإقليمية.

كان التعيين الأول لوالده في البرازيل، حلم إدوارد بالشواطىء، الكرنفالات، ألعاب الكرة والموسيقى، غير إنهم انتهوا إلى العاصمة البرازيلية، بعيدا عن الساحل – مدينة اختلقت فقط حتى توفر الحماية للسياسيين، البيروقراطيين الدبلوماسيين وأطفالهم، الذين لم يعرفوا ما يفعلونه بأنفسهم تماما وهم محشورون في منتصف كل ذلك.

لقد كره إدوارد الحياة هناك، كان يقضي اليوم غارقا في دراساته محاولا – بفشل – أن يتواصل مع زملاء الدراسة، محاولا – بفشل – أن ينمي بعض الاهتمامات بالسيارات، وآخر موديلات الملابس الرياضية، والماركات العالمية، الموضوعات الممكنة الوحيدة للتحاور فيها مع بقية الشباب اليافعين معه. بين الحين والآخر، تقام حفلة، حيث يقوم الأولاد بالسكر في جانب من الغرفة، والبنات يبدين عدم الاهتمام على الجانب الآخر.

كانت المخدرات متوافرة دائما، ولقد جرب إدوارد كل الأنواع الممكنة، ليس لأنه كان محبا لأي نوع منها فقد كان إما أن يستثار بدرجة مزعجة أو ينعس ويفقد كل اهتمام بما يجري حوله

كانت عائلته قلقة، لقد توجب عليهم أن يعدوه كي يلحق بخطوات والده، وبالرغم من أن إدوارد كان يملك كل الإمكانيات الضرورية، الرغبة في الدراسة والذوق الفني الرفيع والقدرة على تعلم اللغات والاهتمام بالسياسة، غير أنه افتقد إلى هبة ضرورية لشخصية الدبلوماسي، لقد كان يجد صعوبة في التحدث إلى الآخرين

اصطحبه والداه إلى الحفلات، ودعوه إلى استضافة زملاء الدراسة في البيت ومنحوه مصروفا كريما جدا، غير أن إدوارد من النادر أن كان يدعو أحدا معه، ذات يوم سألته أمه لماذا لايحضر أصدقاءه معه إلى الغداء أو العشاء.

«أنني أعرف كل نوع من بدلات الرياضة وأعرف أسماء كل البنات اللواتي يسهل اقتيادهن للسرير، بعد ذلك، ليس هناك أي موضوع آخر للتحدث فيه معهم»

ثم برزت الفتاة البرازيلية في المشهد، شعر السفير وزوجته بالارتياح عندما بدأ في مواعدة الفتيات والعودة إلى المنزل متأخرا، لم يكن أحد يعرف تماما من أين جاءت تلك الفتاة، غير أنه في ليلة ما، دعاها إدوارد إلى العشاء، كانت فتاة طيبة المنشأ، وشعر والداه بالرضا عنها، ها قد بدأ الولد في تطوير قدراته للتواصل مع الآخرين، والأكثر من ذلك، فكر كلاهما ـ بالرغم من أن أحدهما لم يقل شيئا بالفعل ـ أن وجود الفتاة أزال هم كبير من رأسيهما، كان واضحا أن إدوارد لم يكن شاذا جنسيا

لقد عاملا ماريا (كان ذلك اسمها) بكل رعاية والدي الزوج المستقبلي، بالرغم من أنهما كانا يدركان أنهما في خلال عامين سوف ينتقلان إلى موقع آخر، ولم

تكن لديهما أدنى نية أن يسمحا لابنهما بالزواج من فتاة من دولة وحشية، كانا يخططان له كي يلتقي بفتاة من عائلة راقية في فرنسا أو ألمانيا، أنثى سوف تكون زوجة مشرفة لدبلوماسي له مستقبل باهر كما كانا يعدانه لذلك

غير أن إدوارد كان يبدو واقعا في العشق أكثر وأكثر، وبقلق راحت الأم تتحدث إلى زوجها، قال السفير

«فن الدبلوماسية يعتمد على القدرة على إبقاء خصمك منتظرا وفي حين أنك قد لا تتغلب على عواطف الحب الأول، غير أنه دائما ينتهي»

لكن إدوارد بدا أنه تغير تماما، لقد بدأ في إحضار كتب غريبة إلى المنزل، وبنى هرما في غرفته، ومع ما يمكن يشعل بخورا كل ليلة ويقضي ساعات في التحديق في شكل غريب مثبت على الحائط، أما درجات إدوارد في المدرسة فقد بدأت في التدهور

لم تكن الأم تفهم اللغة البرتغالية، غير أنه كان باستطاعتها النظر إلى أغلفة الكتب: صلبان، حرائق، ساحرات مشنوقات، ورموز وحشية

«إبننا يقرأ كتبا خطيرة»

«خطيرة؟ إن مايحدث في البلقان خطير»

قال السفير

«إن هناك شائعات بأن سلوفينيا تريد الاستقلال، وهذا سوف يقودنا إلى الحرب»

غير أن الأم لم تهتم بالسياسة، كانت تريد أن تفهم مايحدث لابنها.

«ماذا عن ذلك الجنون والهوس بإحراق البخور؟»

قال السفير

«إن ذلك كي يغطي على رائحة الماريوانا»

تلقى بها تعليما ممتازا، لايمكن بأي حال أن يصدق أن حرق البخور المعطر يستطيع أن يجلب الأرواح»

«ابني متورط في المخدرات؟»

«دخنت الماريجوانا أنا أيضا، عندما كنت شابا، الناس سريعا ما ينسون ذلك، أنا فعلت»

شعرت زوجته بالفخر والطمأنينة، لقد كان زوجها رجلا محاربا، لقد دخل إلى عالم المخدرات وخرج منه سالما، إن رجلا بهذه القوة والإرادة يستطيع السيطرة على أي وضع

ذات يوم، سأل إدوارد عن إمكانية حصوله على عجلة.

«إن لدينا سائق وسيارة مرسيدس بينز، لماذا ترغب في عجلة؟»

«كي أكون على تواصل أكثر مع الطبيعة»

«سنذهب أنا وماريا في رحلة لمدة عشرة أيام، إن هناك مكانا قريبا من هنا مليء ببقايا البللور، وماريا تقول إن ذلك يعطي طاقة إيجابية حقيقية»

كان والداه قد تربيا في ظل النظام الشيوعي الصارم، أن البللور مجرد نتاج معدني مكون من ذرات معينة ولايعطي أي نوع من الطاقة، لاسلبية ولا إيجابية، قاما بعمل الاستفسارات واكتشفا أن تلك الأفكار حول «ذبذبات البللور بدأت تصبح شائعة وموضة حولهم»

إذا ما بدأ ابنهما في التحدث حول أشياء كهذه في الحفلات الرسمية، فإنه سوف يبدو سخيفا في عيون الآخرين.

ولأول مرة اعترف السفير بأن الحالة أصبحت خطيرة

كانت برازيليا مدينة تعيش على الشائعات، وحالما تعرف منافسيه وخصومه في السفارة أن إدوارد يصدق الخرافات، فإنهم قد يظنون أنه قد تعلمها من

والديه، والدبلوماسية، كما هي في الانتظار، فربما أيضا في الاحتفاظ بقدع المألوف تحت كل الظروف

قال الأب:

«يا بني، هذا الوضع لايمكن له أن يستمر»

«إن لدي أصدقاء في مكاتب الخارجية في يوغوسلافيا، وأنت لديك فرصة ذهبية لتعمل كدبلوماسي وعليك أن تتعلم مواجهة الحقيقة»

غادر إدوارد المنزل ولم يعد إليه في تلك الليلة، هاتف الوالدان منزل ماريا، وكل غرف الموتى والمستشفيات في المدينة، دون فائدة، فقدت الأم ثقتها في إمكانيات زوجها كرأس للعائلة أيا كانت مهارته في المحاورات السياسية مع الغرباء.

في اليوم التالي، ظهر إدوارد، جائعا يغلبه النوم، أكل طعامه ثم ذهب إلى غرفته، أشعل أعواد البخور، وردد تمتماته، ونام لبقية ذلك المساء والليل، عندما استيقظ، كان هناك نوع حديث من العجلات في انتظاره

قالت أمه

«إذهب وشاهد بللوراتك، سوف أشرح ذلك لأبيك».

وهكذا، في تلك الأمسية الجافة، وللمرة الأولى قاد إدوارد عجلته سعيدا إلى بيت ماريا، كانت المدينة مصممة بشكل جيد (في الرأي المعماري) أو بشكل سيء (في رأي إدوارد)، بحيث لم يكن هناك زوايا، فقد كان عليه أن يمضي بشكل مستقيم على الجانب السريع من الشارع، ناظرا إلى سماء ممتلئة بغيوم خاوية من المطر، ثم وجد نفسه يصعد بسرعة هائلة إلى السماء، ليسقط مدويا على أرض الأسفلت، حادثة!

«لقد تعرضت لحادثة».

حاول أن يعدل من وضعه، لأن وجهه كان ملتصقا بالأسفلت، واكتشف أنه لم يعد لديه أدنى سيطرة على جسده، سمع صوت كوابح السيارات، والناس

يتحدثون بأصوات محذرة، وشخص ما يقترب منه محاولا أن يلمسه، ثم صرخة

«لا تحركه! إذا حركه أحد فقد يصاب بالشلل طوال عمره!»

مرت الدقائق ببطء وبدأ إدوارد يشعر بالخوف، على خلاف والديه، كان مؤمنا بالله وبالحياة بعد الموت، ورغم ذلك، بدا له غير عادل بالمرة أن يموت في سن السابعة عشرة، ومحدقا في الأسفلت في أرض ليست أرضه

سمع أحدهم يقول:

«هل أنت على ما يرام؟»

كلا، لم يكن على ما يرام، لم يكن قادرا على التحرك، غير أنه لم يكن قادرا على قول أي شيء، أيضا، وأسوأ ما في الأمر أنه لم يفقد وعيه، كان يدرك تماما ما يحدث حوله وما هو وضعه. لماذا لم يغمى عليه؟ في اللحظة نفسها التي كان ينظر فيها إلى الله بقوة، وبالرغم من كل شيء فإن الله لم يرحمه

«الأطباء في الطريق»، همس شخص ما له، ممسكا بيده

«لا أعرف إذا ما كنت تستطيع أن تسمعني، لكنني أرجوك ابق هادئا

إنه ليس أمرا خطيرا»

نعم كان يستطيع أن يسمع، وكان سيحب ذلك الشخص ــ رجل ــ وأن يستمر في التحدث إليه، وأن يعده بأن الأمر ليس بالخطير، بالرغم من أنه كان بالغا بما فيه الكفاية كي يدرك أن الناس يقولون ذلك عندما يكون الأمر خطيرا جدا بالفعل، فكر في صربيا، والمكان الذي توجد فيه جبال البلور، ممتلئة بالطاقة الإيجابية، على خلاف برازيليا، التي تعج بأعلى الطاقات السلبية التي واجهها في تأملاته

صارت الثواني دقائق، وواصل الناس في مواساته، ولأول مرة بدأ يشعر بالألم، ألم حاد جاء في مركز رأسه، وبدا أنه ينتشر في كامل جسده

قال الرجل الممسك بيده

«إنهم هنا، غدا سوف تقود عجلتك من جديد»

غير أنه في اليوم التالي ظل إدوارد في المستشفى ويداه ورجلاه في الجبس، غير قادر على المغادرة حتى شهر من ذلك على الأقل، وكان مضطرا إلى الاستماع إلى أمه ونحيبها المتواصل ومكالمات أبيه القلقة وتأكيدات الأطباء، مرجعين كل خمس دقائق إلى أن مرت الأربع والعشرين ساعة الحرجة، ومتأكدين من عدم وجود أي جرح في الدماغ

اتصلت العائلة بالسفارة الأمريكية، والتي لم تصدق أبدا تشخيصات المستشفى الحكومي وكان لديهم خدمات الطوارئ الطبية الخاصة بهم، مع قائمة لأفضل الأطباء المعالجين لوسطهم الدبلوماسي هناك، بين الحين والآخر كنوع من سياسة الجيرة الطيبة، كانوا يسمحون بخدماتهم لمستخدمي البعثة الدبلوماسيين

أحضر الأمريكيون معهم أجهزة خاصة بهم وقاموا بالمزيد من الفحوص والاختبارات الطبية وتوصلوا إلى النتيجة التي يتوصلون إليها دائما: أن الأطباء في المستشفى الحكومي شخصوا بشكل صحيح الإصابات وقد اتخذوا القرارات الصحيحة.

الأطباء في المستشفى الحكومي قد يكونون جيدين، غير أن البرامج في التليفزيون البرازيلي كانت بنفس السوء في كل مكان في العالم، وكان لإدوارد القليل ليفعله. بدأت زيارات ماريا للمستشفى في التقلص، لعلها وجدت شخصاً آخر يذهب معها إلى جبال البلور

وعلى خلاف سلوك صديقته غير المتوقع، كان السفير وزوجته يزورانه يوميا، غير أنهما رفضا إحضار كتبه البرتغالية من البيت تحت حجة أن ابنه سوف يتم

بقه سريعا، وأنه ليس هناك من داع لكي يتعلم لغة لن يستخدمها مرة أخرى، لذلك فإن إدوارد اكتفى بالتحدث مع بقية المرضى، مناقشا كرة القدم مع الممرضين ومتصفحا كل مجلة تقع بين يديه.

ثم في يوم ما، أحضر له المرضى كتابا كان قد استلمه للتو، غير أنه قد حكم عليه بأنه «أضخم حجما من يستطيع أن يقرأ»، وكانت تلك هي اللحظة التي بدأت فيها حياة إدوارد في انتهاج درب غريب، درب سوف يقوده إلى التبت وإلى انسحابه من الحقيقة وسوف يبعده تماما عن كل الأشياء التي سيتدرج إليها الأولاد الآخرون في مثل سنه في الأعوام القادمة.

كان الكتاب حول أصحاب الرؤى الذين غيرت أفكارهم العالم، أشخاص لهم رؤاهم الخاصة حول الجنة الأرضية، أشخاص قضوا حياتهم مشاركين الآخرين في أفكارهم. السيد المسيح كان هناك، داروين ونظريته حول أن الإنسان أصله من القرود، وفرويد مؤكدا أهمية الأحلام، وكولمبوس مستغلا مجوهرات الملكة كي يستطيع الانطلاق للبحث عن قارة جديدة مع إيمانه باستحقاق كل شخص للفرص نفسها.

وكان هناك قديسون، أيضا، مثل إيجناطوس الولي، جندي من الباسك عاشر الكثير من النساء وقتل الكثير من الأعداء في معارك ضارية، حتى أصيب بجرح في بامبلونا وتوصل إلى فهم العالم من السرير الذي كان يرقد فيه جريحا. تيريزا أفيلا، التي أرادت بطريقة ما أن تجد الطريق إلى الله، وتعثرت حين كانت تسير في ممر وتوقفت للنظر إلى لوحة ما، أنطوني، والذي كان متعبا من الحياة التي كان يقودها، وقرر أن يهجر كل ذلك إلى منفى الصحراء، حيث قضى عشرة أعوام في صحبة الشياطين، وتعرض لكل غواية ممكنة. فرانسيس الأسيسي، شاب مثله، صمم على التحدث إلى الطيور وأن يترك خلفه كل شيء كان والداه قد خططاه من أجل مستقبل حياته.

ولعدم وجود شيء أفضل ليفعله، بدأ في قراءة هذا «الكتاب السمين» في كل مساء، في منتصف الليل، أتته ممرضة لتسأله إذا كان في حاجة إلى أية مساعدة بما أن غرفته كانت الغرفة الوحيدة التي كانت إضاءتها ما زالت مفتوحة، أشار إليها إدوارد بالذهاب، دون أن يرفع عينيه من فوق الكتاب.

كان هؤلاء الذين صدموا العالم من رجال ونساء أشخاصا عاديين، مثله، مثل أبيه، مثل صديقته التي يعرف أنه يفقدها. كانوا مفعمين بالشكوك نفسها والقلق الذي يعاني منه كل الناس في حياتهم اليومية. كانوا أناسا دونما اهتمام خاص بالدين أو الله، أو في توسيع مداركهم للوصول إلى مستوى جديد من الوعي، حتى جاء اليوم الذي غير كل شيء، أكثر ما كان ممتعا في الكتاب أنه يحكي كيف أنه كان في كل حياة من تلك الحيوات، لحظة سحرية معينة جعلتهم يبدأون البحث عن رؤاهم حول الجنة.

كانوا أناسا لم يسمحوا لحياتهم أن تذهب هباء، من أجل تحقيق ما ينشدونه شحذوا الهبات والعطايا أو عملوا في بلاط الملوك، واستخدموا الدبلوماسية والقوة، خرقوا القوانين، أو واجهوا غضب القوى التي كانت مهيمنة، ولكنهم لم ييأسوا أبدا، وكانوا دائما قادرين على رؤية المنافع في كل عقبة واجهتهم.

في اليوم التالي، سلم إدوارد ساعته الذهبية للممرض الذي منحه الكتاب، وطلب منه أن يبيعها، وأن يشتري بالنقود كل الكتب التي يستطيع أن يعثر عليها حول الموضوع نفسه. لم يكن هناك المزيد، حاول أن يقرأ السير الذاتية لبعض أصحاب الرؤى، غير أنهم دائما ما كانوا يوصفون وكأنهم أشخاص مختارون، ملهمين، لا أشخاص عاديين، مثل أي شخص آخر، عليهم أن يناضلوا للإفصاح عن أفكارهم.

كان إدوارد قد استبد به الإعجاب بما قرأه، إلى درجة أنه فكر جديا أن يصبح قديسا وأن يستخدم الحادثة كفرصة لتغيير اتجاه حياته، غير أنه كان لديه رجلان

مكسورتين. ولم تكن قد تولدت أية رؤية خلال فترة المستشفى. ولم تشاهد أية لوحة تصميم زوجها مباشرة. ولم يكن لديه صديق ليحكي له همومه، وسط البعثات الروبية، والمحررين كانت بعيدة جدا، ويعني بالمشكلات السياسية. غير أنه رغم ذلك كان هناك شيء يستطيع عمله. يستطيع أن يتعلم الرسم وأن يرى الرسم تلك الرؤى التي جربها أولئك الرجال والنساء.

عندما أراد عبد الحميد العودة إلى السفارة، مصحوبا بكل العناية، اللطف والاهتمام التي يحظى بها ابن سفير من معية الدبلوماسيين. سأل والدته إن كان بإمكانه أخذ مساق في الرسم.

قالت أمه إنه ضيع الكثير من دروس فصوله في المدرسة الأمريكية وأن عليه مضاعفة جهوده كي يعوض فترة تغيب. لم تكن لديه أدنى رغبة في يستمر في تلقي دروس حول الجغرافيا والعلوم، لقد أراد أن يكون رساما، وفي لحظة غير متوقعة شرح أسبابه لذلك:

«أريد أن أرسم رؤى الجنة»

لم تقل أمه شيئا، غير أنها وعدته بالتحدث إلى صديقاتها والتأكد من أفضل مساق رسم متوفر في المدينة.

عندما عاد السفير من العمل في ذلك المساء، وجدها تبكي في غرفة نومها، قالت ووجهها ينابيع من الدموع:

«ابننا أصابه الجنون»

أجاب السفير مستنكرا: «مستحيل!»

«لقد تم فحصه عبر أطباء تم حشدهم خصيصا من قبل الأمريكيين»

أخبرته زوجته بما قد قاله ابنها.

«إنها مجرد ثورة صبيانية، فقط انتظري، كل شيء سوف يعود إلى طبيعته سوف ترين»

في هذه المرة لم يكن الانتظار مفيدا، لأن إدوارد كان على عجلة من أمره كي يبدأ الحياة. بعد يومين فقط ضجر من انتظار أمه ونصائح صديقاتها، قرر أن يسجل نفسه في مساق للفنون. بدأ في تعلم الألوان وزوايا النظر، لكنه أيضا استطاع التعرف على أشخاص لم يتحدثوا مطلقا حول ملابس الرياضة وأنواع السيارات.

قالت الأم منتحبة للسفير:

«إنه يحيا مع فنانين!»

قال السفير:

«أوه، دعي الولد وشأنه، سرعان ما سوف يمل ذلك مثل ما حدث مع صديقته، ومثل ما حدث مع البلورات، الأهرامات، أعواد البخور والمارجوانا»

غير أن الزمن مر، وتحولت غرفة إدوارد إلى استديو فني، مملوء بلوحات تفتقد للمنطق بالنسبة إلى والديه: دوائر، خليط من ألوان وحشية ورموز غرائبية مختلطة كلها بأشخاص في وضع الصلاة.

إدوارد، الفتى المتوحد، والذي خلال عامين في البرازيل، لم يحضر ولو مرة واحدة أصدقاءه إلى المنزل، صار الآن يحشد البيت بأشخاص غرباء، كلهم يرتدون ملابس سيئة وشعور منكوشة، يستمعون إلى موسيقى مرعبة بصوت عال ويشربون الكحول باستمرار ويدخنون ويبدون عدم اعتبار كامل لأصول اللياقة.

وذات يوم اتصلت مديرة المدرسة الأمريكية بوالدته قائلة:

«أعتقد أن ابنك متورط في المخدرات، علاماته الدراسية أقل بكثير من المتوسط، وإذا استمر في ذلك فلن نستطيع تجديد تسجيل قيده الدراسي»

مضت أمه مباشرة إلى مكتب السفير وأخبرته بما قد أخبرتها به المديرة.

صرخت بهستيرية

«إنك تكرر القول بأن مع الوقت كل شيء سيعود إلى سابق حاله، هاهو ابنك المجنون مدمن المخدرات، يعاني من بعض الإصابات الخطرة في الدماغ، وأنت كل ماتهتم به هو حفلات الكوكتيل واللقاءات الاجتماعية»

قال

«اخفضي صوتك»

«كلا، لن أفعل، ولن أفعل ذلك أبدا ما لم تفعل شيئا إن الولد في حاجة إلى مساعدة، ألا ترى ذلك؟ مساعدة طبية، افعل شيئا»

وخوفا من أن يتحول المشهد وبخته إلى فضيحة محرجة له أمام موظفيه، وقلقا على إدوارد لاستمرار اهتمامه بالرسم أكثر مما توقع، فإن السفير، كرجل عملي، يعرف كل الإجراءات الصحيحة، خطط لعملية هجوم.

أولا، اتصل بزميله، السفير الأمريكي، وطلب بتهذيب إذا كان بإمكانه أن يستخدم خدمات السفارة الطبية وتمت الموافقة على طلبه

عاد للمجموعة الأطباء الموثوق بهم وشرح لهم الوضع وطلب منهم مراجعة الفحوص التي سبق أن قاموا بها، والأطباء، خوفا من القضايا القانونية، عملوا بالضبط كما طلب منهم وتوصلوا أن الفحوص الطبية لم تسفر عن شيء غير عادي

وقبل أن يغادر السفير، طالبوه بتوقيع وثيقة تعفي السفارة الأمريكية من أية تبعات لإرساله إليهم

ذهب السفير مباشرة إلى المستشفى الذي كان إدوارد نزيلا فيه، تحدث إلى المدير، وشرح مشكلة ابنه وطلب، تحت حجة الكشف الدوري، أن يتم اختبار دم ليروا إذا كان هناك أية مخدرات في دم الولد.

أجروا فحوص دم ولم يجدوا ذرة مخدرات فيه

لقد تبقى الجزء الثالث والأخير من الاستراتيجية: التحدث مع إدوارد نفسه، واكتشاف ذلك الذي يحدث له وعندما يمتلك كل المواقع فإنه يستطيع أن يأمل بصنع القرار الصائب

جلس الأب والابن في غرفة المعيشة

قال السفير

«والدتك قلقة جدا بشأنك، درجاتك الدراسية في تدن وهناك خطر عدم تجديد قبولك في المدرسة»

«لكن علاماتي في مدرسة الفنون تحسنت يا أبي»

«إنني أجد اهتمامك بالفن مرضيا جدا، ولكن أمامك حياتك بكاملها كي تفعل ذلك، المهم أن تُنهي دراستك الثانوية، حتى أستطيع أن أضعك في الطريق إلى احتراف الدبلوماسية»

فكر إدوارد بشدة طويلا قبل أن يقول أي شيء، فكر في الحادثة، وفي كتاب الرؤى، الذي كان مجرد حجة كي يجد مهنته الحقيقية، فكر في ماريا، التي لم يسمع عنها مرة أخرى، تردد لبعض الوقت، ولكن في النهاية قال

«أبي، لا أريد أن أكون دبلوماسيا، أريد أن أكون رساما»

كان والده جاهزا لتلقي تلك الاستجابة ويعرف كيف يناور ذلك

«سوف تصبح رساما، لكن أولا، عليك أن تنهي دراستك، سوف نُعدُّ المعارض الفنية لك في بلجراد، زغرب، لجوبليانا وسراييفو إن لدي نفوذ كبير، وأستطيع مساعدتك لكن عليك أن تنهي دراستك أولا»

«إذا ما فعلت ذلك، فإنني سأختار الطريق السهل، سوف أدخل كلية أو أخرى، وأحصل على شهادة في مادة لاتهمني، ولكنها ستساعدني في كسب مرتبي، وسوف يتراجع الفن إلى الخلفية، وسأنتهي إلى نسيان مهنتي الحقيقية، إن علي أن أجد طريقة لكسب عيشتي من الرسم»

بدأ السفير يشعر بالانزعاج

«إن لديك كل شيء يا ابني، عائلة تحبك، منزل، نقود، مركز اجتماعي، ولكني كما تعرف، إن دولتنا تمر بوقت عصيب، وهناك شائعات حول حرب أهلية قادمة، وغدا قد لا أكون هنا لمساعدتك».

«أستطيع أن أساعد نفسي، ثق بي، في يوم ما، سوف أرسم سلسلة بعنوان «رؤى الجنة» وسوف يكون ذلك سجلا بصريا تاريخيا لما جربه رجال ونساء في الماضي في قلوبهم فقط».

امتدح السفير تصميم ابنه، وأنهى المناقشة بابتسامة، وقرر أن يمنحه شهرا آخر، فبعد كل شيء فالدبلوماسية هي أيضا فن تأجيل القرارات حتى تحل الأزمات نفسها بنفسها

مر شهر واستمر «إدوارد» في تكريس كل وقته للرسم، ولأصدقائه الغرباء ولتلك الموسيقى، التي صممت بوضوح معين لإثارة عطب نفسي ما. وكي تتفاقم الأمور، تم فصله من الكلية الأمريكية لجدله مع أحد الأساتذة حول وجود القديسين.

وبما أن القرار لم يعد قابلا للتأجيل، بذل السفير محاولة أخيرة وطلب إليه المحادثة رجل لرجل آخر

«إدوارد، أنت الآن في عمر يلزمك باتخاذ المسئولية تجاه حياتك الشخصية لقد تحملنا كل ذلك طوال استطاعتنا. أما الآن فعليك أن تنسى كل هذا الهراء حول أن تصبح رساما وأن تمنح بعض الاهتمام والتوجه لعملك».

«ولكن يا أبي، أن أكون رساما هو أن أمنح الاهتمام لعملي»

«ماذا عن حبنا لك، وكل جهودنا لمنحك تعلما جيدا. أنت لم تعتد على التحدث بمثل هذه الطريقة، على أن افترض أن ما حدث هو توابع للحادثة التي تعرضت لها».

«انظر، إنني أحبكما أنتما الاثنان أكثر من أي شيء أو أحد آخر في العالم»

تنحنح السفير. لم يكن معتادا على هذه العواطف الصريحة والمباشرة.

«إذن، باسم الحب الذي تحمله لنا، أرجوك، افعل كما ترغب أمك. كف عن الرسم لمدة من الزمن، واتخذ لك أصدقاء ينتمون إلى نفس طبقتك الاجتماعية وعد إلى دراستك»

«أنت تحبني، يا أبي، لا يمكنك أن تطلب مني أن أفعل ذلك، لأنك تضرب لي دائما مثلا للنموذج الطيب، مكافحا من أجل أشياء تهمك. لا يمكنك أن ترغب لي في أن أكون رجلا بدونما إرادة خاصة بي».

«لقد قلت، باسم الحب. وأنا لم أقل ذلك من قبل، لكنني أطلب منك ذلك الآن من أجل الحب الذي تكنه لنا. ومن أجل الحب الذي نحمله لك، عد إلى المنزل، لا أقصد المعنى الجسدي فقط، ولكن الحقيقي. إنك تخدع نفسك، وتهرب من الحقيقة».

«منذ ولادتك، بنينا أحلاما حول كيف ستكون حياتك. إنك كل شيء لنا، مستقبلنا وماضينا. كان أجدادك موظفين مدنيين وأن علي أن أحارب كالأسد حتى أدخل السلك الدبلوماسي وتدرج في ذلك السلم وقد فعلت كل ذلك كي أصنع لك حيزا، ولأجعل الأمور أسهل عليك. مازلت أملك القلم الذي وقعت به أول وثائقي كسفير، وقد احتفظت به بحب حتى أعطيك إياه في اليوم الذي تفعل فيه الشيء نفسه. لا تخذلنا. يا ابني لن نعيش إلى الأبد ونريد أن نموت بسلام ومدركين أننا تركناك على الطريق الصحيح في الحياة. إذا كنت تحبنا بحق، افعل كما أطلب. إذا لم تكن تحبنا، فاستمر إذن فيما أنت فيه الآن».

جلس إدوارد لساعات طويلة محدقا في سماء برازيليا، مراقبا الغيوم المتحركة وسط الأزرق - غيوم جميلة، غير أنها خاوية من نقطة مطر فيها

للترحيب لأرض الجـــفـة، في منتصف ســـهول لـــوريل. لقـــد كان حـــوريا مثله.

إذا استمر كما كان، فإن والدته ســـوف تـــزداد شحــوباً مـــن الحـــزن، وسيفقد والده كل حماسه لعمله، وسيلوم الاثنان بعضهما البعض لفشلهما في تربية ابنهما المحبوب، إذا تخلى عن فنه . فإن رؤى الجنة لن تـــرى النور ابدا ولن يعطيه اي شيء آخر في هذا العالم نفس الاحـــاسيس مـــن المتعة والفرح.

نظر حوله، رأى لوحـــاته، وتذكر الحـــب والمـــعنى الذي وضعـــه فـــي كـــل لمسة فرشاه، ووجد كل لوحة من لوحته دون المستوى. لقـــد كـــان هـــذا مـــزيف أراد شيئا لم يكن محتارا من اجله، وكان الثمن لذلك هـــو خيبة أمل والديه.

إن رؤى الجنة هي للقلة المختـــارة من البـــشر، والذين يظهـــرون في الكتب كأبطال وشهداء للعقيدة التي يؤمنون بها. أشخاص عرفوا منذ الطفولة ما الذي يريده العالم منهم، إن تلك الوقائع المدعاة التي قرأها في ذلك الكتاب الأول كانت مجرد ابداع لكاتب قصة ما.

في وقت العشاء، أخبر والديه بأنهمـــا كانا محـــقين. لقد كان مـــجرد حلم صبياني، وأن حماسه للفن قد انتهى.

شعر والده بالرضا، وبكت أمه بدموع الفرح وضمت ابنها، وعاد كل شيء الى طبيعته.

في تلك الليلة، احتفل السفير سرا بانتصاره بفتح زجاجة من الشمبانيا شربها وحده. عندما ذهب إلى السرير، كانت زوجته ولأول مرة منذ شهور تنام في سلام عميق.

في اليوم التالي، وجدوا إدوارد في غرفته مشوشا ، واللوحات ممزقة فيما يجلس الولد في زاوية من الغرفة، محدقا في السماء.

ضمته أمه ، وأخبرته كم هي تحبه، غير أن ادوارد لم يعبر عن أية انفعالات لم يعد يريد اي شيء له علاقة بالحب، لقد ضجر الموضـوع برمتـه ظن انه يستطيع التخلي عما يريد وأن يتبع نصيحة والده، غير أنه قطع طريقا طويلا في عمله، لقد قطع الصحراء الموحشة التي تفصل الإنسان عن حلمـه والآن لم يعد بإمكانه الرجوع.

لم يعد بإمكانه التقدم أو العودة. كان من الأسهل مغادرة المسرح فقط

مكث إدوارد في البرازيل خمسة شهور أخرى، وخضع لعلاج المتخصصين ، الذين شخصوا انفصام شخصية نادر، ربما نتيجة لحادثة العجلة. ثم بدأت الحرب في يوغسلافيا واستدعي السفير بعودة على عجل. كانت اشكالية كبيره للعائلة أن ترعى ادوارد، وكان المخرج الوحيد هو أن يودعوه في مستشفى فيينا الذي افتتح حديثا .

عندما أنهي ادوارد رواية حكايته ، كان الظلام قد حل، وكلاهما كان يرتجف من البرد القارص.

قال . «دعينا ندخل سوف يقدمون العشاء».

«كلما ذهبنا لرؤية جدتي عندما كنت طفلة، كنت دائما مشدوهة بلوحة معينة، في بيتها، كانت تظهر امرأة - سيدتنا . كما يدعوها الكاثوليك - تقف فوق العالم، بذراعيها ممتدتان نحو الأرض وأشعة من النور تتدفق من أصابعها.

كان أكثر ما سحرني حول تلك اللوحة أن تلك السيدة كانت تقف على حيه حقيقية، قلت لجدتي . «أليست هي خائفة من الحية؟ الن تعضها في قدمها وتقتلها بسمها؟»

قالت جدتي . «انه وفقا للانجيل ، فإن الحية. تجلب الخير والشر إلى الأرض، وهي تحافظ على توازن الخير والشر بحبها».

«ما علاقة ذلك بحكايتي؟».

«لقد عرفتك لمجرد اسبوع ، لذلك سوف يكون من المبكر جدا ان اخبرك بأنني احبك، ولكن بما انني قد لا يطول بي العمر خلال هذه الليلة، سيكون ذلك متأخراً جدا. غير ان الجنون العظيم للرجال والنساء هو الحب . لقد رويت لي قصة حب. أنا أصدق أن والديك أرادا الافضل لك ، غير ان حبهما دمر حياتك، تقريبا اذا كانت سيدتنا، كما تبدو في لوحة بيت جدتي، تقف على الحية فان ذلك يشير إلى أن الحب وجهين».

قال إدوارد : «إنني أرى ما تعنينه لقد استفزيت المرض لاعطائي معالجة الصدمة الكهربائية، لانك شوشتني. لا أعرف كيف أقول ما أشعر به تماما، والحب قد دمرني ذات مرة من قبل».

«لا تحمقي، اليوم طلبت إبنا من د . ايجور حتى اغادر المكان و خمار هكذا استطيع ان اغمض عيني عليه للابد ولكن عندما رأيتك فى ايدى الممرضين اكتشفت ما الذى أود أن أنظر إليه عندما أغادر هذا العالم. انه وجهك وقررت ألا أغادره

عندما كنت تنام تحت تأثير معالجة الصدمة الكهربائية، تعرضت لأزمة قلبية ، وظننت أن الوقت قد حان. نظرت إلى وجهك وحاولت أن «أخمن حكايتك» وأعددت نفسي لكي أموت سعيدة، غير أن الموت لم يأت، وتغلب قلبي على الوضع من جديد، ربما لانني مازلت شابة»

نظر الى الأسفل.

«لا تكن محرجا من كونك محبوبا، أنا لا أسألك شيئا، فقط دعني احبك وأعزف لك البيانو مرة أخرى هذه الليلة، إذا ما كانت لاتزال لدى القوة لفعل ذلك. وبالمقابل، أسالك شيئا واحدا فقط اذا سمعت اى شخص اخر يقول بأنني اموت. فاحضر حالا الى جناحي دعني امتلك امنيتي».

مكث إدوارد صامت لوقت طويل ، وفكرت فيرونيكا انه قد انتكس مرة اخرى وعاد الى عالمه المنفصل ، الذى لن يخرج منه لزمن طويل

غير أنه نظر إلى الجبال البعيدة خارج جدران فيليت وقال «إذا أردت المغادرة، أستطيع ان اصحبك . فقط امنحيني الوقت لأخذ معطفين معي وبعض النقود. ثم سوف نذهب»

««لن احيا طويلا. يا ادوارد. تعرف ذلك».

لم يجب ادوارد. دخل وعاد مرة أخرى حاملا معه معطفين

«ان ذلك سيبقى للابد يا فيرونيكا ، و اطول من كل تلك الأيام المتشابهة والليالي التى قضيتها هنا، محاولا باستمرار أن انسى رؤى الجنة تلك كدت انساها، رغم انها تبدو أنها تعاودني» .

«هيا بنا ، لنذهب. الناس المجانين يفعلون، أشياء مجنونة».

فى تلك الليلة ، عندما اجتمع النزلاء للعشاء ، لاحظوا غياب اربعة اشخاص :

زيدكا ، التي كان يعرف الجميع انه تم تسريحها بعد فترة طويلة من العلاج ، وماري، التي ذهبت الى السينما ، كما اعتادت دائما، وإدوارد، الذى ربما لم يتعاف بعد من معالجة الصدمات الكهربائية . عندما فكروا بذلك شعر كل النزلاء بالخوف. وبدأ في تناول عشاءهم فى صمت .

وأخيرا، الفتاة ذات العينين الخضراوين والشعر البني تلك التى يعرف الجميع انها لن تعيش حتى نهاية الأسبوع

لم يتحدث احد عن الموت بصراحة في فيليت وغير أن الغياب كان ملحوظا ، بالرغم من ان الجميع كان يحاول التصرف وكان شيئا لم يحدث

سرت الاشاعة من مائدة إلى أخرى. البعض بكى، لأنها كانت مفعمة بالحيوية والآن سوف ترقد فى مشرحة صغيرة خلف المستشفى كان الأكثر جرأة فقط هم الذين ذهبوا إلى هناك، وحتى في وضح النهار كانت تحتوى على ثلاثة موائد من المرمر وكان هناك عموما جثة جديدة على احداها ، مغطاه بحاشية

كان الجميع يعلم ان فيرونيكا ستكون هناك الليلة اولئك الذين كانوا مجانين بحق نسوا وجود نزيل اخر خلال ذلك الاسبوع، والتي كانت تزعج نوم الاخرين بعزفها على البيانو ليلا. حين سمعوا النبأ، شعروا بالحزن، وخصوصا الممرضين الذين كانوا مع فيرونيكا خلال تلك الفترة فى وحدة العناية المركزة ، غير ان الموظفين تدربوا على عدم خلق صلة قوية مع المرضى، لأن البعض كان يغادر والبعض يموت، والاغلبية تتدهور مع الوقت، استمر حزنهم برهة ما ، ثم مر ايضا.

غير ان اغلبية النزلاء سمعوا بالخبر، وتظاهروا بالصدمة والحزن ، غير انهم شعروا بالراحة، لانه مرة اخرى قد مر ملاك الموت فوق فيليت ونجوا منه

عند اجتمعت الاخوية بعد العشاء سلمهم احد الاعضاء رسالة : ماري

لم تذهب الي السينما، لقد غادرت ولن تعود وقد سلمت رسالة.

لم يبد احد اية اهمية للموضوع، كانت دائما مختلفة، وعاجزة عن تبنى الوضعة المثالية التى كانوا يعيشون بها فى فيليت. قال احدهم:

«لم تفهم مارى كم نحن سعداء هنا نحن أصدقاء لنا اهتمامات مشتركة، ونظام احيانا نذهب في رحلات معا، وندعو المحاضرين الى هنا للتحدث معهم فى شئون مهمة، ثم نناقش أفكارهم وصلت حياتنا الى توازن كامل، وهذا شىء يتمنى الكثير من الناس فى الخارج ان يحققوه».

قال آخر «دون ان ننسى ذكر واقع انه، فى فيليت، نحن فى حمى من البطالة، وآثار حرب البوسنة. ومن المشاكل الاقتصادية والعنق، لقد بلغنا التناغم».

«تركت مارى هذه الرسالة» ، قال الرجل الذى ابلغهم بالأخبار حاملا، بيده مظروفا مغلقا، «طلبت منى ان اقرأه لكم بصوت عال، وكأنها تودعكم جميعا»

فتح العضو الأكبر سنا فى المجموعة المظروف وفعل كما طلبت منه مارى اوشك على التوقف فى المنتصف، غير انه كان قد تأخر على مثل هذا الامر، لذلك فإنه قرأ حتى النهاية .

«عندما كنت محامية يافعة، قرأت بعض القصائد لشاعر إنجليزى وكان ما قاله اثر فى بشدة . «كن مثل النافورة التى تفيض ، وليس كالمستنقع الذين يركد»، كنت اظن دائما انه مخطىء لأننا قد ننتهى إلى إغراق اماكن يسكنها أحبابنا ونغرقهم فى حبنا وحماستنا. طوال حياتى، عملت مابوسعى كى اكون مستنقعا ، لا أخرج ابعد من حدود جدرانى الداخلية .

ثم . لسبب ما لن افهمه ابدا، بدأت فى المعاناة من نوبات الذعر، وأصبحت ذلك الشخص الذى طالما تجنبت ان اكونه تحولت الى نافورة طفحت بالماء وفاض

منها على كل شيء حولي. كانت النتيجة هي دخولي الى فيليت وبعد ان تم شفائي، عدت إلى المستنقع وقابلتكم جميعا، اشكركم على صداقتكم ، وعواطفكم وللأوقات سعيدة لكثيرة لقد عشنا معا مثل السمك في احواض الزينة، راضين لان احدهم كان يقذف لنا بالطعام عندما نحتاجه وكان باستطاعتنا عندما نريد ذلك ، ان نرى العالم الخارجي عبر الزجاج غير انه بالامس ، بسبب بيانو و مراة شابة ربما تكون قد ماتت الان ، تعلمت شيئا مهما جدا ان الحياة في الداخل هي تماما كالحياة في الخارج وفي الخارج هناك وهنا يتجمع الناس في مجموعات ، يبنون جدرانهم ولا يسمحون لشيء غريب ان يزعج وجودهم الوسطي الردىء

إنهم يفعلون الأشياء لانهم اعتادوا على ذلك يدرسون مواد غير نافعة، يرفهون عن انفسهم لأنهم مفترضون ان عليهم فعل ذلك وعلى العالم الباقي ان يشنق نفسه دعهم يحلون ازماتهم لوحدهم وفي اقصى الاحوال يرقبون الاخبار على شاشات التليفزيون كما نفعل غالبا ، كتأكيد لسعادتهم في عالم تحتشد فيه المشاكل والظلم ما اود ان اقوله ان الحياة داخل «الاخوية» هي تماما نفس الحياة كالحيوات التي يعيشها تقريبا كل شخص اخر فيليت، متحسبين بحذر كل معرفة لكل ما هو موجود خارج الجدران الزجاجية لحوض الزينة لو كان مريحا ونافعا، غير ان ليس متغير، واننا لأن نطلق للبحث عن مغامرة رغم انني ابلغ الخمسة والستين من العمر ومدركة تماما لكل العوائق التي يستطيع العمر ان يجلبها ، انني ذاهبة الى البوسنة ثمة ناس ينتظرونني هناك وبالرغم من انهم لايعرفونني بعد ، وانا لا أعرفهم لكنني متأكدة انني سوف اكون نافعة، والمجازفة بمغامرة تستحق الف يوم من اليسر والراحة

عندما انهى قراءة الرسالة انصرف كل أعضاء الاخوية الى غرفهم، وأجنحتهم، مرددين لأنفسهم، ان ماري قد جنت، اخيرا

اختار ادوارد وفيرونيكا افخم مطعم في لجوبيلجانا ، وطلبا ارقى الاطعمة ، وسكرا بثلاث زجاجات من نبيذ عام ١٩٨٨ ، كانت افضل نتاج لهذا القرن . وخلال العشاء، لم يذكرا ولو لمرة واحدة فيليت او الماضي أو المستقبل.

«لقد اعجبتني قصة الحية، قال، وهو يملأ وهو كأسها للمرة التاسعة «لكن جدتك كانت عجوزة جدا على تفسير القصة جيدا» .

«تعامل بشيء من الاحترام نحو جدتي، رجاء» ، زأرت فيرونيكا مخمورة ، جالبة انتباه الجميع ممن استداروا نحوها

«نخب في صحة جدة هذه المرأة المجنونة الجالسة امامي، بلاشك انها قد فرت الى هنا من فيليت»

عاد الناس للاهتمام بطعامهم ، متظاهرين بعدم حدوث شيء حولهم

أصرت فيرونيكا : «نخب في صحة جدتي»

جاء صاحب المطعم الى مائدتهما

«أرجوكم احسنوا سلوككم»

هدآ لدقائق ، غير انهما سرعان ما واصلا حديثهما الصاخب، حورهما غير العاقل وسلوكهما غير الملائم، عاد صاحب المطعم الى مائدتهما ، وأخبرهما بانهما غير مضطران لدفع الفاتورة، ولكن عليهما ان يغادرا المطعم حالا

«فكري في النقود التي سنوفرها من ثمن ذلك النبيذ الغالي الرائع» قال إدوارد «دعينا نغادر قبل ان يغير هذا الجنتلمان رأيه» .

غير أن الرجل لم يكن ليغير رأيه انه في وضع شد كرسي فيرونيكا، كسلوك مهذب مقصود لاخراجها من المطعم في اسرع وقت ممكن

سار الى منتصف الميدان الصغير للمدينة نظرت فيرونيكا الى الاعلى نحو غرفتها في الدير وتبخرت سكرتها لقد تذكرت انها على وشك ان تموت سريعا .

قال إدوارد «دعنا نبتاع المزيد من النبيذ» . كانت هناك حانة في القريب منهما، اشترى ادوارد زجاجتين وجلس الاثنان واستمرا في الشرب

قالت فيرونيكا «ما الخطأ في تفسير جدتي للوحة؟»

كان ادوارد مخمورا لدرجة اضطر فيها لبذل جهد مضاعف حتى يتذكر ما قاله في المطعم ، غير انه نجح في ذلك.

«قالت جدتك ان المرأة وقفت على الحية لأن الحب يسيطر على الخير والشر وهذا تفسير رومانسي لطيف، غير انه لا علاقة له بالموضوع لقد رأيت هذه الصورة من قبل، فها احدى رؤى الجنة التي اتخيل رسمها كنت اتساءل لماذا يصورون السيدة العذراء بهذا الشكل»

«ولماذ يفعلون ذلك؟»

«لأن العذراء توازي الطاقة الانثوية وهي عشيقة الحية، التي تمثل الحكمة، اذا دققت في الخاتم الذي يلبسه د . ايجور سوف ترين انه يحمل الرمز الطبي، الافعوانين ملتفين حول عصى ان الحب فوق الحكمة، كما العذراء فوق الحية بالنسبة لها كل شيء هو الهام أنها غير معنية بالاحكام حول الخير والشر»

قالت فيرونيكا: «هل تعرف شيئا اخر؟ السيدة العذراء لم تهتم بما يمكن للاخرين ان يفكروه لتحيى الاضطرار لان تشرح للجميع ذلك الموضوع حول الروح القدس انها لم تبرر شيئا لقد قالت فقط : «هذا هو ما حدث» ، وهل تدرك ما يمكن ان يكون قد قاله الاخرون؟» .

«بالطبع .. انها مجنونة».

ضحك الاثنان ، ورفعت فيرونيكا كأسها.

«تهاني. عليك ان ترسم رؤى الجنة، بدلا من التحدث عنها فقط»

قال إدوارد «فسوف ابدأ بك»

كان بجوار الميدان الصغير تل صغير. وعلى قمة ذلك التل ثمة قصر صغير سار إدوارد وفيرونيكا عبر الطريق الحجري، شاتمين وضاحكين، منزلقين على الجليد ومتذمرين من الارهاق

بجانب القصر هناك جرار اصفر ضخم لاي شخص قادم الى ليوبليانا للمرة الأولى، يمنح الجرار الانطباع بأن هناك ترميمات في القصر، وأن العمل سريع ما سينتهي غير ان سكان ليوبليانا يعلمون ان الجرار كان هناك منذ سنين طويلة بالرغم من ان احداً لا يعلم السبب لذلك اخبرت فيرونيكا ادوارد انه عندما تطلب من الاطفال في الحضانة ان يرسموا قصر ليوبليانا، فانهم دائما ما يرسمون الجرار مع القصر» .

«إلى جانب ان الجرار هو وضع افضل من القصر»

«كان عليك ان تكوني ميتة الان» ، قال ، ما زال تحت تأثير الكحول، ولكن برعشة خوف في صوته - «ان قلبك ما كان ليتحمل هذا التسلق».

منحته فيرونيكا قبلة، طويلة وعميقة

«انظر الى وجهي تذكره بعيون روحك، حتى تستطيع اعادة خلقه من جديد في يوم ما . اذا رغبت، يمكن لذلك ان تكون نقطة بدايتك، لكن عليك ان تعود الى الرسم هذا هو طلبي الاخير.. هل تؤمن بالله؟»

«نعم اؤمن».

«إذن اقسم بالله الذي تؤمن به انك سوف ترسمني»

«أقسم»

«وأنك بعد ان ترسمني - سوف تواصل الرسم».

«لا أعرف ان كنت استطيع ان اقسم على ذلك»

«أنت تستطيع وسأذهب الى ما هو ابعد من ذلك . أشكرك لانك أعطيت معنى لحياتي لقد جئت الى هذه الدنيا كي امر بكل شيء مررت به ، محاولة انتحار

تمير قلبي، ملاقاتك ، المجيء الى هذا العصر، وسماحي لك بوشم وجهي على روحك، ان هذا هو السبب الوحيد لوجودي في هذا العالم. ان اجعلك تعود من جديد الى الطريق الذي ضللته. لا تجعلني اشعر أن حياتي كانت هباء».

«لا أعرف إذا كان ذلك مبكرا أو متأخراً جدا ولكن كما قد فعلت معي اريد ان اخبرك بانني احبك لست مضطرة الى تصديق ذلك ربما كان جنوناً . أو من صنع مخيلتي»

وضعت فيرونيك ذراعيها حوله وسألت الله الذي لم تؤمن به ان يأخذها في تلك اللحظة .

اغمضت عينيها، واحست به يفعل الشيء نفسه ، وسقطت في نوم عميق، بلا احلام كان الموت حلواً ، له رائحة النبيذ وكان يمسد شعرها

شعر إدوارد بشخص ما يربت على كتفيه عندما فتح عنيه كان النهار قد بدأ .

قال رجل الشرطة «تستطيع ان تذهب للمأوى في بلدية المدينة، إذا بقيت سوف تتجمد هنا»

وفي ثانية ، تذكر ادوارد ما حدث في الليلة الماضية. كانت هناك امرأة ترقد في حضنه.

« انه، انها ميتة»

غير ان المرأة تحركت وفتحت عينيها

سألت فيرونيكا : «ماذا يحدث»

«لاشيء» . قال إدوارد، وساعدها للنهوض على اقدامها : «أو ربما معجزة قد حدثت ، يوم جديد للحياة»

حالما ذهب د. إيجور الى غرفة الاستشارة وفتح الانوار لان النهار مازال يتاخر فى البزوغ والشتاء ومازال مستمرا - قرع ممرض بابه.

قال لنفسه : «بدأت الاشياء مبكرا اليوم».

كان يبدو انه سوف يكون يوما صعبا، بسبب المحادثة التى عليه ان يجريها مع فيرونيكا لقد مهد لذلك طوال الاسبوع. وبالكاد نام لوهلة فى الليلة الماضى.

قال الممرض . ان لدى بعض الاخبار المقلقة لقد ،ختفى اثنان من النزلاء ابن السفير والفتاة مريضة القلب» .

«حقيقة ، انتم حثالة بلا كفاءة، كما ان الامن فى هذا المستشفى لم يكن يوما على حجم المسئولية» . قال الممرض مذعورا: «بسبب انه لم يحاول احد الهروب من قبل لم نكن نعرف ان ذلك ممكنا» .

«أخرج من هنا الان سيتوجب على ان اعد تقريرا لاصحاب المستشفى وان اخطر الشرطة، واتخذ الاجراءات قل للجميع بألا يزعجوني . هذه الاشياء تستغرق ساعات» !

غادر الممرض ، شاحبا، ومدركا بأن قدرا كبيرا من مسئولية هذه المشكلة الكبيرة سيقع على عاتقه لان هذه هى الكيفية التى يتصرف فيها الاقوى مع الضعيف سوف يتم طرده من العمل بلاشك قبل نهاية اليوم.

التقطت د.ايجور ورقة، ووضعها على مكتبة وبدأ فى تسجيل الملاحظات ، ثم غير رأيه.

أطفأ الأنوار وجلس فى المكتب المضاء بالشمس الشاحبة ، وابتسم . لقد نجح بعد قليل. سوف يكتب الملاحظات الضرورية ، واصفا العلاج الوحيد المعروف لفيتيرول ' وعى بالحياة.. وسوف يصف الأدوية التى استخدمها فى تجاربه الاولى على المرضى: وعى بالموت.

ربما كانت بعض الاشكال الاخرى من الادوية موجودة غير ان د . ايجور قرر ان يركز اطروحة ابحاثه حول الوحيدة التى حصل على فرصة تجريبها علميا، شكرا للمرأة الشابة، دون ان تعلم، اصبحت جزءا من قدره . لقد كانت فى حالة سيئة عندما وصلت، معانية من جرعات زائدة وخطيرة، وتقريبا فى غيبوبة . لقد تراوحت بين الحياة والموت لمدة اسبوع تقريبا ، الوقت الضرورى الذى كان يحتاجه لتطبيق فكرة عبقرية على تجربته.

توقف كل شيء على عامل واحد فقط.. قدرة الفتاة على البقاء.

وقد استطاعت ذلك، بدون تبعات خطيرة، ومشاكل صحية مدمرة، اذا رعت نفسها ، فانها ستتمكن من الحياة لفترة اطول منه بكثير.

غير ان د . ايجور كان الوحيد الذى يعرف ذلك، مثلما كان يعرف تماما، ان محاولات الانتحار الفاشلة تميل الى تكرار المحاولة ان قريبا او بعيدا. لماذا لا يستخدمها كخنزير تجارب، ليرى اذا ما كان باستطاعته ان يمحو الفيتيرول ، او المراره من اعضاء جسدها؟

لقد خطط د. ايجور لخطته، مستخدما مخدرا اسمه فينتول. نجح فى استثارة اعراض الذبحة القلبية ولمدة اسبوع، ثم حقنها بعدد من حقنات ذلك المخدر ، لابد انها كانت خائفة جدا. لانه كان لديها الوقت كى تفكر فى الموت تراجع حياتها وبهذه الطريقة. كما جاء فى ابحاثه كان الفصل الاخير من اطروحته بعنوان «الوعى بالموت يشجعنا على الحياة بكثافة اكثر» . لقد نجحت الفتاة فى القضاء على الفيتيرول تماما فى جسمها وربما، احتمال كبير جدا، لن تعاود محاولة الانتحار مطلقا.

كان من المفترض ان يراها اليوم وان يخبرها انه بفضل المحقن نجح فى تغيير حالة قلبها تماما. غير ان هروب فيرونيكا وفر عليه التجربة غير اللطيفة للكذب عليها من جديد.

ما لم يحسب د . ايجور حسابه هو طبيعة العدوى لدوائه الذى يشفى من تسمم الفيتيرول الكثير من الاشخاص فى فيليت كانوا خائفين من وعيهم بذلك الموت، البطيء والحتمى. لابد ان جميعهم يفكر فيما يفتقدونه ، مجبرين على اعادة تقييم حياتهم.

لقد أتت مارى إليه طالبة السماح لها بالمغادرة ورضى اخرون طلبوا اعادة النظر فى حالاتهم. كان وضع ابن السفير أكثر إثارة للقلق، رغم انه ربما اختفى ليساعد فيرونيكا فقط على الفرار.

ربما مازالا معا.

على كل حال، كان ابن السفير يعرف موقع فيليت. اذا ما اراد العودة .

كان د. ايجور يشعر باثارة كبيرة للنتائج التى توصل اليها ولم يهتم بالانتباه للتفاصيل الصغيرة الهامشية.

لدقائق قليلة، راوده شك اخر: عاجلا ام أجلا ، سوف تلحظ فيرونيكا انها ليست على وشك الموت بالذبحة الصدرية سوف تذهب ربما للاخصائيين الذين سوف يخبرونها ان قلبها طبيعى بشكل كامل سوف تحكم بأن الطبيب الذى كان يرعاها فى فيليت لم يكن كفؤا تماما ولكن على الجانب الآخر فان الذين يتجرأون فى البحث عن المواضيع المحرمة تطلب ان يكونوا على قدر كاف من الشجاعة وقدر كبير من عدم الاستيعاب.

قلب د. ايجور الموضوع فى رأسه طويلا وعميقا وقرر ان ذلك لن يهمه حقيقة. سوف تعتبر هى كل يوم جديد معجزة وهو ذلك بالفعل عندما تأخذ بالاعتبار عدد الاشياء غير المتوقعة التى يمكن ان تحدث فى كل لحظة من وجودنا الهش.

لاحظ أن اشعة الشمس تشتد قوة في هذه الساعة، سوف يكون النزلاء في المطعم لتناول فطورهم وسريعا ما تمتلىء غرفة استشارية ، وسوف تظهر المشاكل المعتادة يكون من الافضل له ان يبدأ في تسجيل ملاحظاته لبحثه في الحال.

وبدقة بدأ في كتابة تجربته مع فيرونيكا، وسوف يؤجل تقارير الاهمال الامنى لما بعد.

روايات الهلال تقدم

جبال الكحل

بقلم

يحيى مختار

تصدر: ١٥ أبريل سنة ٢٠٠١

أحدث إصدارات روايات الهلال

العدد	اسم الرواية	المؤلف	التاريخ	الثمن بالجنيه
٦١٥	القلق السرى	فوزية رشيد	مارس ٢٠٠٠	٧,٠٠
٦١٦	فئران بلا جحور	أحمد ابراهيم الفقيه	ابريل ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦١٧	خزانة الكلام	جميل عطية ابراهيم	مايو ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦١٨	بوح الأسرار	محمد جبريل	يونيه ٢٠٠٠	٥,٠٠
٦١٩	صالح هيصه	خيرى شلبى	يوليه ٢٠٠٠	٧,٠٠
٦٢٠	غريبان فى قطار	باتريشيا هايسميث	أغسطس ٢٠٠٠	٨,٠٠
٦٢١	حكمة العائلة المجنونة	فؤاد قنديل	سبتمبر ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦٢٢	الطوف الحجرى	خوسيه ساراماجو	أكتوبر ٢٠٠٠	٨,٠٠
٦٢٣	زنوبة	قوت القلوب الدمرداشية	نوفمبر ٢٠٠٠	٦,٠٠
٦٢٤	أشجار قليلة عند المنحنى	نعمات البحيرى	ديسمبر ٢٠٠٠	٥,٠٠
٦٢٥	نقطة النور	بهاء طاهر	يناير ٢٠٠١	٧,٠٠
٦٢٦	البعيدون	بهاء الطود	فبراير ٢٠٠١	٥,٠٠

رقم الايداع: ١٧٩٣١ / ٢٠٠٠
I - S - B - N
977 - 07 - 0734 - 1

باولو كويلهو

● ولد باولو كويلهو فى البرازيل فى ريو دي جانيرو فى عام ١٩٤٧ وقبل تفرغه للكتابة الروائية كان مهتما بالكتابة المسرحية والإخراج المسرحى وكتابة الأغانى لبعض أشهر مطربى البوب البرازيليين، كما عمل فى الصحافة وإعداد البرامج التليفزيونية.

صدرت أولى روايات كويلهو عام ١٩٨٧ بعنوان «الحج» التى صدرت بالتزامن مع روايته الشهيرة «الكيميائى» التى ترجمت إلى اللغة العربية بعنوان «ساحر الصحراء»، ترجمة بهاء طاهر وباعت أكثر من ٢٠ مليون نسخة فى العالم.

ومن رواياته «الجبل الخامس» و«بقرب نهر بيدرا جلست وبكيت» «فالكيريس الهة الحرب».

هذه الرواية

يكا تقرر أن تموت» هى .. أحدث أعمال باولو كويلهو وهو عمل يدور حول أهمية الاستماع إلى عواطفنا كما يقول كويلهو وقد استوحاه من تجربته الشخصية فى المستشفيات العقلية التى سبق له أن دخلها أكثر من مرة. وقد أسهم صدور هذه الرواية فى إحداث بعض التغييرات فى القانون البرازيلى حيث تم الإفراج عن مشروع قانون تأخر صدوره لعشرة أعوام يقضى بوجود طرف ثالث إلى جانب الطبيب والمستشفى للتثبت من حالة أى مريض متهم بالجنون. وقد صدرت هذه الرواية فى عام ١٩٩٩ والتى يواصل كويلهو دوره فيها كروائى ملهم للأفراد والأمم لتغيير نمط الحياة الخاص والعام.

عائلة روايات الهلال

● اذا كنت من هواة قراءة الابداع الراقى عربيا وعالميا، فشارك معنا عائلتنا الابداعية «عائلة روايات الهلال».

● احرص على اقتناء نسختك الشهرية، أو احرص على الاشتراك فيها تصلك بالبريد المضمون الى عنوانك

● ٥٠ عاما من الابداع المثالى

● تم اختيار أعمالنا لتكون أفضل الاصدارات للسنوات الأخيرة بصفة متتالية.

● تحصل رواياتنا على اهم الجوائز الأدبية. وتتم ترجمتها إلى لغات العالم.

● مرة أخرى .. إذا كنت من قراء الابداع الجيد .. فانضم الى «عائلة روايات الهلال».

WWW.LILAS.COM/VB3
MLLOULI